# كشف الشبهات

# عن مذهب

# السلفيين السادات

كتبه:

أبو بكر بن ماهر بن عطية

ابن عبد المحسن بن حسين بن أحمد بن جمعة

المصري

بسم الله الرحمن الرحيم

**قال أبو بكر بن ماهر– وفقه الله، وسدد على طريق الحق لسانه وخطاه–:**

إذا أردت– أيها السُني– رضي الله عنك وأرضاك، وثبت على طريق الحق خطاك– إذا أردت أن تَميزَ السُني السلفي من الخلفي البدعي، وتمتحن العبد اليوم لتعرف أسُني هو أم هَوَوي، فقل له:

**ماذا تقول** في الشيخ ربيع بن هادي المدخلي– حفظه الله–؟

**فإن قال** خيرًا وأثنى خيرًا فهو سُني، أو كان ذلك أمارة من أمارات كونه سنيًا، وإن قال شرًا وأثنى شرًا فهو بدعي.

**فإن قال:** الامتحان بالأشخاص بدعة.

**فقل له:** يلزمك تبديع السلف، فإنهم كانوا يمتحنون بالأشخاص،كأحمد ابن حنبل وحماد بن سلمة، فمن أثنى عليهما خيرًا عدوه سُنيًا، أو جعلوا ذلك أمارة من أمارات كونه سنيًا، ومن وقع فيهما عدوه هوويًا.

**فإن قال:** فهل من دليل يحضرك من كتاب أو من سنة يدل على ما ذكرت؟

**فقل له:** أما من الكتاب فقد قال– تعالى–:

{ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ }

فدلت هذه الآية على أن أهل العلم يسلكون مسلك الإيمان بكل ما جاء من عند الله، محكمه ومتشابهه، بحيث يردون المتشابه إلى المحكم، ويعملون بالمحكم ولا يعارضونه بالمتشابه، بخلاف أهل الأهواء، فإن في قلوبهم زيغًا، بحيث إنهم يتبعون المتشابه، ويتركون المحكم، ولا يردون المتشابه إلى المحكم، فمن آمن بالمحكم والمتشابه، ورد المتشابه إلى المحكم فهو من أهل الزيغ، وهذا هو شأن أهل البدع والأهواء.

فمن وقع في أهل العلم الذين يؤمنون بالمحكم والمتشابه، ويقولون آمنا به كل من عند ربنا، ويردون المتشابه إلى المحكم، من وقع في هؤلاء فهو مبتدع في قلبه زيغ وهوى، ومن أثنى عليهم فهو سُني، أو كان ذلك أمارة من أمارات كونه سنيًا.

وأما من السنة، فقد قال النبي– صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: ((**لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر**))

وقال: ((**آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار**))

وقال علي–رضي الله عنه–: «إنه لَعَهْدُ النبيِّ الأميِّ إليَّ أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»

إلى غير ذلك، والموفق ينفعه القليل والزائغ لا ينفعه الكثير.أي من الأدلة.

**فإن قال:** كيف تمتحنني بشخص غير معصوم؟

**فقل له:** قد كان السلف الذين هم أعلم مني ومنك، وأقوم قيلاً وأهدى سبيلاً مني ومنك، يمتحنون بأشخاص غير معصومين، فإما أن تسلك سبيلهم فتكون بذلك سُنيًا سلفيًا، وإما أن تحيد عنه فتصير مبتدعًا خلفيًا.

**فإن قال:** زدني إيضاحًا وبيانًا حتى تروي غليلي وتشفي عليلي ففي النفس بقية شيء أو أشياء.

**فقل له:** امتحانك به هو في الحقيقة امتحانٌ بمنهجه، فمنهجه معصوم ، وهو منهج السلف الذي يدعو هو إليه، وإن لم يكن هو معصومًا، والمعصوم من عصم اللهُ، فمن وقع فيمن كان هذا هو منهجه، فهو مبتدع صاحب هوى.

**فإن قال:** إن خصوم الشيخ ربيع وأمثاله منهم من ينتسب -أيضًا- إلى مذهب السلف، فكيف كان هو سلفيًا، ولم يكونوا هم-أيضًا- سلفيين؟

**فقل له:** إن الدعاوي إذا لم يقم عليها أصحابها البينات فأصحابها أدعياء.

فمن انتسب إلى مذهب السلف انتسابًا مجردًا عن الحقيقة، فإنه لا ينفعه مجرد الانتساب.

**فإن قال:** اشف صدري بمزيد بيان.

**فقل له:** إن من قعّد القواعد الباطلة، وأصَّل الأصول الفاسدة الكاسدة في المحاماة عن أهل الأهواء، والذب عنهم، والمحاماة عنهم ونصرهم بما يعود بالطعن والقدح في المنهج السلفي وحملته، إن من يفعل ذلك لا يكون سلفيًا، وإنما يكون من أهل الأهواء.

**فإن قال:** هل يمكن أن تمثل لنا ببعض القواعد والأصول التي اخترعها هؤلاء باسم المذهب السلفي، وليست من المذهب السلفي في شيء؟

**فقل له:** مثل قاعدة وجوب الموازنات حال نقد المخالف، فإن هذه القاعدة تقضي بأنك إذا انتقدت مخالفًا لمذهب السلف فلا بد أن تذكر حسناته، وقد رد أهل العلم على هذا بما حاصله أن هذا من باب التكليف بما لا يطاق، إذ لا يسع أحدًا ذكر حسنات نفسه فضلاً عن غيره لو كان واحدًا، فما الظن بوجوب ذكر حسنات جميع المخالفين المردود عليهم؟!.

أمثل هذا التكليف يكون في طاقة أحد؟!

اللهم إنه لا يقدر على ذلك إلا من أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، وعلم حال العبد في نومه ويقظته، وفي سره وإعلانه، وعلم حسناته و سيئاته وعلم حركاته وسكناته.

ثم إن مذهب- وجوب ذكر حسنات المخالف حال الرد عليه، لم يقم عليه دليل من كتاب ولا سنة، ولم يجر عليه عمل السلف، ومن سار على دربهم، وإنما الذي دل عليه الدليل، وجرى عليه عمل السلف هو الرد على المخالف مخالفته والاكتفاء بذلك، إلا أن يقتضي المقام وجوب ذكر بعض حسناته، أما وجوب ذكر حسنات المخالف حال الرد عليه، على سبيل الإطلاق هكذا، فلم يدل عليه دليل من كتاب ، ولا سنة، ولا أثر عن صاحب، ولا تابع، ولا غيرهما، ممن سلك الكتاب والسنة، بفهم سلف الأمة.

**فإن قال:** ألا تذكر لنا بعض الأدلة على ما ذكرت.؟

**فقل له:** قد ثبت أن هندًا-رضي الله عنها- قالت للنبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-:

«إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني وَبَنِيَّ» فقال لها النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-:

**((خذي ما يكفيك وبنيك بالمعروف))**

فلم ينكر عليها النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وصفها لأبي سفيان بأنه رجل شحيح، وأقرها على ذلك، ولم يلزمها بأن تذكر حسناته أو شيئًا منها، فإذا كان هذا ثابتًا في حق أبي سفيان-رضي الله عنه- فكيف يوجب أحد ذكر حسنات مخالف دون أبي سفيان في الرتبة والمنزلة؟! فما الظن بمن يوجب ذلك في حق أهل الأهواء؟!

وقد ثبت-أيضًا- أن فاطمة بنت قيس-رضي الله عنها- قالت للنبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «إن معاوية وأبا الجهم خطباني، تستشيره في ذلك- رضي الله عنها-» فقال النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ((**أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو الجهم فلا يضع العصا عن عاتقه**)) وفي رواية: ((**ضرَّاب للنساء، انكحي أسامة بن زيد**)).

فأين ذكر النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لحسنات هذين الصحابيين الجليلين-رضي الله عنهما- إذ لا أقل من كونهما مسلمين، فلم يذكر النبي- صلى الله عليه وعلى آله وسلم- في هذا المقام شيئًا من تلك الحسنات.

فكيف بمن يوجب ذكر حسنات المخالف المردود عليه، ولو كان من أهل الأهواء؟!

أليس هذا إفسادًا في الدين وإحداثًا فيه ما ليس منه؟!

ثم أليس في تلك القاعدة مداهنة لأهل الأهواء وذبًا عنهم؟! والعجيب أن من يؤصل مثل هذه القاعدة يشن في الوقت نفسه حربًا ضروسًا على المذهب السلفي وأهله وعلى حملته والداعين إليه، والأعجب من ذلك أنهم لم يعملوا بمذهبهم هذا مع السلفيين وأهل السنة، فتراهم ينتقدون أهل السنة نقدًا ويذمونهم ذمًّا دون أن يذكروا حسنة من حسنات أهل السنة، وفي هذا نقض لقاعدتهم التي قعدوها، وأصلهم الذي أصلوه، مع بطلان تلك القاعدة، وفساد ذلك الأصل، وقد أشبهوا من قال الله فيهم: { وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا } على أحد وجهي تفسير هذه الآية، وهو أنهم ابتدعوا رهبانية ابتداءً لا أن الله كتبها عليهم، فما كتب الله عليهم تلك الرهبانية، ومع ابتداعهم لتلك الرهبانية ابتغاءً منهم لرضوان الله، فما رعوها حق رعايتها، فتأمل ركوب هؤلاء لسنن أولئكم.!!.

والأدلة الدالة على فساد هذا الأصل الذي أصلوه، والقاعدة التي قعدوها من الكتاب والسنة كثيرة جدًا، موجودة لمن طلبها في مظانها، وأما جريان عمل السلف على خلاف تلك القاعدة الباطلة فأشهر من أن يذكر، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصر عادة، وها هي كتب الجرح والتعديل والسنن طافحة بذم أهل الأهواء ونقد أهل الأخطاء، دون إيجاب ذكر الحسنات.

فتارة يقولون: فلان كذاب، وتارة يقولون: فلان دجال من الدجاجلة، وتارة يقولون: فلان يخطئ ويصر، وتارة يقولون: فلان مبتدع صاحب هوى، إلى غير ذلك، مع أن من تكلموا فيهم كانوا من المسلمين، أو المنتسبين إلى الإسلام

**فإن قال:** اذكر لنا قاعدة أخرى من تلك القواعد الباطلة.

**فقل له:** قولهم بحمل المجمل على المفصل في غير كلام المعصوم-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

وهذه القاعدة وضعوها للمحاماة عن أهل الأهواء، والمخالفين، وأهل الجهل والأخطاء.

**فإن قال:** أَبِنْ لي.

**فقل لـه:** إن أهل العلم على أنه لا يحمل مجمل الكلام على مُفَصَّله، إلا في حق كتاب الله وسنة رسول الله- صلى الله عليه وعلى آله وسلم-. فإن المجمل فيهما لا يكون إلا حقًا، وكذلك المفصل فإنه لا يكون فيهما إلا حقًا، بل إن لازم المجمل والمفصل فيهما لا يكون إلا حقًا، لأن لازم الحق حق، بخلاف المجمل والمفصل في حق كلام غير الله ورسوله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

فقد يقول الرجل كلامًا مجملاً باطلاً، ويكون تفصيله باطلاً وقد يكون كلامه المجمل حقًا وتفصيله حقًا، وقد يكون كلامه المجمل حقًا وتفصيله باطلاً، وقد يكون كلامه المجمل باطلاً وتفصيله حقًا، هذه الصور الأربع يمكن أن تتصور في حق كلام غير الله ورسوله، بخلاف كلام الله ورسوله، فلا يكون مجمله ومفصله إلا حقًا.

**فإن قال:** زدني بيانًا لهذا المقام.

**فقل له:** قد يقول الشخص كلامًا اليوم ويقول بخلافه غدًا، وقد يقول كلامًا ما في موضع، وكلامًا آخر بخلافه في موضع آخر، فإن كان أحدهما باطلاً والآخر حقًا فكيف يحمل الباطل على الحق؟! هذا لا يكون ولا يجوز إلا عند أصحاب تلك القاعدة الباطلة، ولذلك إذا انتقدت كلامًا مجملاً باطلاً على أحد ما من أنصار تلك القاعدة قال لك:

لكنه قد قال خلاف هذا الباطل في موضع آخر مفصلاً، فيحمل هذا الذي ظاهره البطلان في الكلام المجمل على الكلام الحق المفصل.

وهذا منهم محاماة عن أهل الأهواء؛ لأن الباطل هو باطلٌ، مجملاً كان أم مفصلاً، ولا يجوز حمل هذا على ذاك إلا عند أصحاب تلك الأصول الباطلة الذين وضعوها للمحاماة عن أهل الأهواء بحيث إذا جاء السُني ينتقد باطلاً ما في موضع ما قالوا:

لقد قال صاحبه كلامًا مفصلاً حقًا في موضع آخر، وبهذا الأصل الفاسد الذي أصلوه وتلك القاعدة التي قعدوها، يكون تمرير الباطل، وبقاؤه، وانتشاره، وتكميم أفواه أهل السنة عن نقد الباطل، ورده على أصحابه، والدفاع عن الأهواء والأخطاء وعن أصحابها.

وكيف يحملون المجمل في كلام غير الله ورسوله على المفصل، وقد وقع الإجماع على أن هذا الحمل لا يكون إلا في كلام الله وكلام رسوله؟! ذلك لأن الإنسان عرضة للتغير والاختلاف في كلامه من حين إلى آخر، ومن موضع إلى آخر.

فكيف يعامل كلام غير الله ورسوله معاملة كلام الله ورسوله، وقد قال-تعالى-:

{ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيرا } ؟!

اللهم إنه لا يقول هذا إلا مبتدع صاحب هوى، محدث في دين الله ما ليس منه، ولا يقول بذلك سُني سلفي.

فلو أن شخصًا قال: القرآن ظاهرة كونية وقال: القرآن من صنع الله وقال: القرآن كلام الله غير مخلوق، لما جاز حمل كلامه الأول-لبطلانه- على كلامه الأخير الحق، ولوجب رد كلامه الأول الباطل، ووجب التحذير منه، ذلك لأن القول بأن القرآن من صنع الله معناه أنه مخلوق، وكذلك القول بأن القرآن ظاهرة كونية، فإن معناه أنه مخلوق بقوله كن، كما قال-تعالى-:

{ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ }

وكذلك القول بأن القرآن مجعول، فإن معناه مخلوق قال-تعالى-:

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ }

أي خلق الظلمات والنور، ولذلك لم يأت فعل جعل في القرآن بمعنى خلق إلا حال كونه متعديًا إلى مفعولٍ واحد فحسب، كهذه الآية فالظلمات هي المفعول الوحيد لجعل في الآية، بخلاف ما إذا جاء لفظ جعل مع القرآن فإنه يتعدى إلى مفعولين كما في قوله-تعالى-:

{ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً ... } الآية، وقوله: { وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُوا ... } الآية

فضمير الهاء مبني على الضم في محل نصب مفعول أول لجعل في الآيتين، و" وقرآنًا" مفعول ثان، ولم يأت هذا الفعل مع القرآن في كتاب الله إلا متعديًا إلى مفعولين، هذا حاصل كلام أهل العلم، فتدبر.

فعلى قاعدة المجمل والمفصل في غير كلام الله- تلك القاعدة الفاسدة- يجب حمل هذا الباطل على ذاك الحق، ولا يخفى ما في هذا من فساد وإفساد في دين الله-سبحانه وتعالى- ولا يعتقد مثل هذه القاعدة إلا مبتدع صاحب هوى، لا سُني سلفي.

**فإن قال:** زدنا من تلك القواعد التي يقعدها من ينتسب إلى مذهب السلف، وهي تنخر في مذهب السلف، ومذهبُ السلف منها براء.

**فقل له:** قولهم: نصحح الأخطاء ولا نجرح الأشخاص، أو نصحح ولا نهدم.

**فإن قال:** بين ذلك.

**فقل له:** أدلة الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة، تدل على وجوب رد الأخطاء والأهواء على أصحابها، فيقال: فلان مخطئ في كذا، ولو كان من الأئمة المجتهدين، وفلان وقع في بدعة كذا وإن لم يكن هو مبتدعًا، وفلان مبتدع، وفلان وقع في كفر وهو كذا، أو شرك وهو كذا، وإن لم يكن صاحب ذلك كافرًا أو مشركًا، وبهذا يُرَدُّ قولُهم-أيضًا-: "نتكلم عن الفعل ولا نتكلم عن الفاعل"

فهو من زمرة قواعدهم الباطلة، محاماة من أصحابها عن أهل الأهواء والأخطاء، مع أنهم لا يعملون من بتلك القواعد مع بطلانها مع خصومهم السلفيين.

فانظر إلى الكيل بمكيالين، والوزن بميزانين، ومع ذلك يتكلمون عن العدل من قبل السلفيين تجاه مخالفيهم، مع أنه ليس من لازم العدل ذكر حسنات المخالف حال الرد عليه،وليس من لازم العدل الكلام عن الفعل لا الفاعل، وليس من لازم العدل التصحيح وعدم التجريح، وليس من لازم العدل التصحيح وعدم الهدم، فمن وجب جرحه جُرح، ومن وجب هدمه هدم، والأمر في ذلك كله لله-سبحانه-.

وإن السلفيين وأهل الحق إنما يقومون بما أوجب الله عليهم وكل بحسبه، وهم أهل العدل والقسط وأولى بالعدل من خصومهم هؤلاء، أصحاب تلك القواعد الباطلة،التي هي ضد العدل والشرع والدين، وإنما مبناها على الظلم ونصرة أهل الظلم؛ لأن أهل الأهواء ظلمة باعتبار وضعهم الشيء في غير موضعه، فمن قعد تلك القواعد الباطلة لنصرة أهل الباطل

والضلال، فهو ظالم لم ينصره ظالمًا بمده في الظلم، وما أشبههم بمن قال الله فيهم: { وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ }

فقواعد القوم جائرة، ومن ركن إلى ظالم ونصره بمده في ظلمه، له نصيب من الوعيد في قوله-تعالى-:

{ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ }

والآيات والأحاديث في الظلم والظالمين كثيرة، نعوذ بالله من الظلم ومن الظالمين.

**ووالله** لو لم يكن في التخويف والترهيب من عاقبة الظلم إلا قوله-تعالى-: { وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ } لكان كافيًا وعبرة وموعظة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فما أكثر!! الظلم والكذب والافتراء والتمويه والتلبيس والتدليس والسعي في الفتن والركض فيها اليوم بالسبل الشيطانية والمكائد الإبليسية، رد الله كيد أهل الأهواء في نحورهم، وسهم البغي في صدورهم، ووقانا وإخواننا شرهم، فإن ريح شرهم منتنة، ونار شرهم مستطيرة، فاللهم اكبتهم، وردهم خائبين خاسرين ناكصين على أعقابهم مدحورين.

وهل يمشي في ركاب هؤلاء المخذولين المحرومين من العلم والهدى، إلا من كان مثلهم وعلى شاكلتهم في الخِذْلان والحرمان؟!

لا يكون إلا كذلك، ولا يكون سلفيًا أبدًا.

**فإن قال:** أنصار تلك القواعد كثيرون، ولو كانت تلك القواعد باطلة ما سار عليها هؤلاء مع كثرتهم، خاصة أنهم ينتسبون إلى مذهب السلف.

**فقل له:** متى كان الحق يعرف بالكثرة؟! ومتى كان الحق ينكر بالقلة؟!

اللهم إلا عند أهل الجهالة، الذين يغترون بكثرة أتباع قول ما، أو مذهب ما، فالاغترار بالكثرة هو شأن الجهلة، وأعداء السنن، بل أعداء الرسل من الكفار والمشركين، قال-تعالى-:

{ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ * فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ }

وقال-تعالى-: { فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ } الآيات.

وقال: { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ }

وقال: { وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ }

وقال: { وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ }

وقال-تعالى-: { وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٠ }

والمستثنى هنا أقل من المستثنى منه، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ومن الأحاديث، ما ثبت عن النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أن الله -عز وجل- يقول يوم القيامة لآدم:

((**يا آدم أخرج بعث النار**)) وفيه أن آدم قال: **وما بعث النار؟** قال: ((**من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون**))

وفي رواية: ((**من كل مائة تسعة وتسعون**)) أو كما قال النبي- صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

وإن مثل هذا الاحتجاج بالكثرة، يذكرني بما ذكره الشاطبي-رحمه الله- في الاعتصام- بما خلاصته أنه قيل لأحد علماء النصارى: كيف تعتقد هذا الدين، وهو الدين النصراني، وقد علمت أنه لا يقبله عقل؟!

فقال: وجدت أكثر الناس يتبعونه، فما كانوا ليتبعوه إلا وهو حق، فاحتج على الصحة بالكثرة، واغتر بذلك!!

فيقال لهذا القائل: لا يجوز الاغترار بالكثرة الباطلة، وإنما الواجب اتباع الحق، ولو عز أنصاره وندروا وقلوا.

فقد قال النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ((**إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء**)) إلى غير ذلك من الأحاديث التي في معنى ما ذكرته هنا، فلا أُنْسَ بالكثرة الباطلة المبطلة، ولا وحشة بالقلة المحقة، ولا يغتر بالباطل وأهله إلا مبطل صاحب هوى، ولا يأنس بالحق وأهله إلا صاحب سُنة واتباع للحق.

**وإن قال:** ولم هذه الحملة الشرسة الشديدة منكم يا معشر السلفيين على خصومكم ممن ينتسب إلى مذهب السلف وليسوا عليه حقيقة؟!، لم لا توجهون سهام نقدكم إلى الكفار والملاحدة، أليسوا أولى بتلك الهجمة من هؤلاء؟! أليس أقل أحوالهم أنهم مسلمون؟!

**فقل له:** ملخص كلام أهل العلم الذي قالوه أو حكي عنهم في هذا، أن أهل الأهواء يفسدون القلوب ابتداء، بخلاف المحاربين من الكفار، فإنهم يفسدون القلوب تبعًا، وأن أهل الأهواء بمثابة من يفتح باب الحصن للعدو المحارب الكافر، وأن البدع سبب لإدالة الكفار على بلاد الإسلام وذهاب كثير من ممالكهم، وأن قتال الخوارج فيه الحفاظ على رأس مال الإسلام بخلاف محاربة الكفار، فإنه يكون لطلب الربح، والحفاظ على رأس المال أولى من طلب الربح، فتدبر.

**قلت:** ومن تأمل حال أهل الأهواء، علم أنهم سبب النكبات والويلات على بلاد الإسلام؛ لأن الله يقول:

{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ } وأهل الأهواء لم يأتوا بشرط النصر، فكيف يُنْصرون؟!

فالواجب إصلاح أهل الإسلام قبل مقاتلة أعداء الإسلام من الكفار المحاربين؛ لأن التنازع سبب للفشل، وقد قال-تعالى-:

{ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦ }

ولا شك في أن أهل الأهواء أهل تنازع واختلاف.

ومن تأمل الأدلة وجد أن البدء بإصلاح النفس، وإصلاح الأقرب فالأقرب، هو الذي ينبغي أن يكون، قال-تعالى-:

{ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ۝٦ } فبدأ بالنفس قبل الأهل.

وقال: { وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ ... ۝٣٦ }

الآية

وهل يستطيع صاحبوا الأيدي الشلاء، والأعين العوراء والعمياء، والآذان الصماء، والأفواه البكماء، أن يقاتلوا عدوهم؟!

فكذلك أصحاب العقول النكراء، والقلوب السوداء، والأفئدة الظلماء، من أصحاب المعاصي والأهواء، فإنهم يكون بهم من الوهن والضعف وأسباب تخلف النصر ما بهم.

وكيف ينشد العبد النصر، وهو بعيد عن الأخذ بأسباب إصلاح نفسه، مع إمكان ذلك، وقد جعل بينه وبين ما يُرغب فيه السدود والحواجز والعقبات؟! إن من لم يفهم بفهم السلف في هذه المسألة وغيرها من المسائل، فإنه مبتدع، صاحب هوى، مستعجل لقطف ثمار لم يبذر لها بذرًا، ولم يتعاهد غرسه بسقي ولا غيره.

ومعلوم أنه من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

**فإن قال:** وهل كان السلف يحذرون من البدع والأهواء دائمًا؟

**فقل له:** كان السلف يحذرون من الأهواء ، ويشتد تحذيرهم ، ويتأكد إذا وقعت مثل هذه الأهواء.

فكلما اقتضى المقام التحذير منها حذروا. ولو أن شخصًا نصب نفسه على قارعة طريق يرد الناس عن السير في هذا الطريق، خشية من أن يقعوا في حفرة فيه، وحذرًا من ذلك لكان معدودًا في العقلاء، ولكان ممدوحًا عندهم، ولو بقي في هذا التحذير من سلوك تلك الطريق مدى زمانه، ولو كانت الطريق وعرة، وبها قطاع طرق محاربون، فإن المحذر من سلوك مثل هذا السبيل ممدوح عند عقلاء الناس كلهم، فكيف بمن يحذر الناس من سلوك طريقٍ مَن سلكه أرداه في دنياه وأخراه لتعلق ذلك بالدين؟!

فكيف يُنْقَم على من كان هذا حاله من التحذير ذاك؟!

أليس هذا أولى بأن يمدح وأن يكافأ على الإحسان إحسانًا، لا أن يسب ويهان ويشتم ويساء إليه ويشوَّه أمره عند ضعاف العقول؟!

إنه لا يطعن في مثل من كان هذا حاله من الحذر والتحذير من المخالفات الدينية والأهواء المضلة إلا مبتدع صاحب هوى، قد أعمى الله بصيرته، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة، فيرى الحق باطلاً والباطل حقًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، والله المستعان.

والعجيب أن أهل الأهواء يسيئون إلى أهل السنة ليل نهار، بما لا يفعلونه مع الكفار، مع أن أهل السنة يتكلمون فيهم بحق، وهم يتكلمون في أهل السنة بباطل، فهل يُنصر هؤلاء، ولو كانوا عدد ذرات الرمال والصحاري والقفار، وعدد قطرات البحار والأمطار؟!

ألم يقل الله-عز وجل-: {وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾} ؟!

ألم يقل النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ((**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**)) ثم قرأ :

{وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾} ؟!

إن الأهواء نذير عقوبات عاجلة وآجلة لأصحابها، نسأل الله العافية في الدين والدنيا لنا ولإخواننا أهل السنة.

وقد يقرأ قارئهم الآية أو الحديث، أو يذكر قول عالم، فينزله على خصومه السلفيين.

وهذا من تحريف الكلم، ومن الإلحاد في آيات الله- عز وجل-.

فلو قرأ مثلاً قوله-تعالى-: {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾}

وأنزل هذين الوصفين على السلفيين، الذين يردون على أهل الأهواء والأخطاء أهواءهم، وأخطاءهم المنشورة، فقد حرف كلام الله -عز وجل- عن معناه المراد به ؛ لأنه كمن قرأ قوله-تعالى- :

{ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾} ولم يكمل فهذا الرامي للسلفيين الناقدين لغيرهم بالحق، هو أولى بأن يرمى بذلك، وأنه هو الهماز اللماز، ذلك؛ لأن السلفيين الذين ينتقدون غيرهم، ينتقدونهم في أمور مأذون لهم بانتقادهم فيها شرعًا، فإذا كان الأمر مأذونًا لهم فيه شرعًا، فلا يعابون بذلك، ولا يدخلون في زمرة الهمازين اللمازين المغتابين المعيبين، فإن كلام السلف يدور حول أنه ليس لفاسق غيبة، فنقول:

من كان مجاهرًا ببدعة وبفسق أو داعيًا إلى ذلك، فقد أذن الشرع بجرح مثل هذا وذمه والتحذير منه، ولا يكون مثل هذا الذم والجرح والتحذير داخلاً في الهمز واللمز، ولا في الغيبة المحرمة.

وهؤلاء — وإن كان ينطلي تلبيسهم وتدليسهم على ضعاف العلم والعقل- فإنه لا ينطلي أمرهم على أهل العلم والعقل والفضل ، إنه إن انطلى على بعض الناس، فلن ينطلي على جميعهم، وإن انطلى اليوم فلن ينطلي أبدًا، وسينكشف أمرهم غدًا، ويفتضحون شر فضيحة.

فهؤلاء في حقيقة أمرهم دعاة إلى الفتنة، وما كان لهم أن يدخلوا فيها، فضلاً عن أن يسرعوا فيها، ويسابقوا فيها-والله المستعان-.

ومن هذا القبيل، لو قرأ قارئ من هؤلاء قوله-تعالى-: {وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ ...﴿٤٢﴾} الآيات

ونزلها على السلفيين الذين ينتقدون أهل الأهواء والأخطاء، لكان هو الظالم الجائر المتوعد بالعذاب والعقاب.

وكذلك لو قرأ قارئ قوله-تعالى-: {وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ...﴿١٢﴾} الآية

ونزله على أهل العلم الناقدين للمبطلين، لكان هو المغتاب على الحقيقة،

وكذلك من ذكر حديث النبي-صله الله عليه وعلى آله وسلم-:

((**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال...**)) الحديث، ولم يستثن هجر أهل الأهواء والفجور والمعاصي على التأبيد، حتى يتوبوا فقد كذب على رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وألحد في حديث رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- الذي قد هجر هو وأصحابه كعب بن مالك وصاحبيه، لتخلفهم عن غزوة تبوك بلا عذر، حتى نزلت توبة الله عليهم.

فمن لم تعلم توبته من أصحاب البدع والمعاصي، فإنه يهجر حتى الموت، وعلى هذا يدور كلام السلف وصنيعهم.

فمن نسب إلى السلف مداهنة أهل الأهواء أو المحاماة عنهم أو الذب عنهم، فقد كذب عليهم وقوَّلهم ما لم يقولوه، ونسب إليهم ما لم يعتقدوه، وكذلك من ذكر كلام أبي القاسم الحافظ ابن عساكر-رحمه الله- إذ قال ما معناه:

«اعلم-رحمني الله وإياك- أن لحوم العلماء مسمومة، وأن سنة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، ومن وقع في العلماء بالثلب، ابتلاه الله قبل موته بموت القلب»

**أقول**: من ذكر هذا الكلام منزلاً إياه على السلفيين، وأهل العلم الجارحين لأهل الهوى والجهل، كان كاذبًا على الحافظ ابن عساكر؛ لأن كلام الحافظ ابن عساكر متعلق بمن طعن في العلماء، لا من طعن في أهل الأهواء، وأشباه العلماء الذين تزيوا بزي العلماء، وأضلوا جِبِلًّا كثيرًا من الناس، وليسوا من العلم ولا من العلماء في شيء.

فحذار أيها السلفي من الاغترار بمسالك أهل الأهواء، في التدليس والتلبيس والتمويه والتغرير بالجهلة الأغرار، كان الله في عون أهل السنة وأخزى أهل البدعة وفضحهم، فقد أفسدوا البلاد والعباد، والله الموعد.

وهل من حرف كلام الله من بعد مواضعه، وأوله على غير تأويله وألحد في ذلك، وفعل مثل ذلك في كلام رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وكلام أهل العلم، هل هذا يكون سلفيًا؟!

اللهم إنه لا يكون إلا خلفيًا مبتدعًا صاحب هوى، قد زين له الشيطان سوء عمله، فرآه حسنًا.

أما السلفي فإنه هو الذي ينفي عن كتاب الله، وسنة رسوله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. وهو الذي يعظم حرمات الله، وشعائر الله، ويعزر ويوقر رسول الله- صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ويوقر العلماء ورثة الأنبياء في العلم.

**فإن قال:** إذا ثبت قلة أهل العلم وكثرة الرؤوس الجهال، أفلا يسوغ لي أن آخذ العلم عن هؤلاء وأحذر ما ضلوا فيه، وما أخطأوا فيه؟

**فقل لـه:** لا نأمن عليك في الأخذ عنهم أن تنغمس في ضلالتهم، لو كنت من أهل العلم. ذلك؛ لأن القلوب ضعيفة والشبه خطافة، كما حكاه بعضهم عن الإمام الذهبي-رحمه الله-، ومن جالس جانس، والطباع سرّاقة ونقالة، فكيف إذا لم تكن من أهل العلم؟!

إذ كيف تَحذر شبههم وبدعهم، وأنت لست من أهل العلم الذين يميزون السنة من البدعة، فهل تأمن أن تدخل عليك البدعة باسم السنة وتحت مظلتها؟! وهل تأمن أن تدس لك البدعة مع السنة دس السم في العسل أو الدسم، وأنت لا تشعر؟!

فكان سلوك سبيل السلامة هو ترك ما معهم، من خير حذرًا من الوقوع في الشر الذي معهم والحصول على الخير المحض من أهل العلم الذين هم أهل خشية الله، وهم أهل السنة.

**فإن قال:** أهل العلم قلة، وأنا مضطر إلى ذلك.

**فقل لـه:** كم من كاذب في دعوى الاضطرار هذه، وأخشى أن تكون أحد هؤلاء الكذبة.

**فإن قال:** جَلِّ الأمر لي.

**فقل لـه:** قد أخبر النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ((**أنه لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون**)) أو كما قال، فأهل العلم موجودون-ولله الحمد- وليسوا معدومين، وإن كانوا قليلين.

**فإن قال:** يشق عليّ الرحلة إليهم والسفر للأخذ عنهم.

**فقل لـه:** كم من كاذب في هذا القول، وكم من مفرط، وأخشى أن تكون واحدًا من هؤلاء الكذبة المفَرطين.

**فإن قال:** تنفس في المقال حتى أفهم وأستوعب ما تقول.

**فقل لـه:** إن كثيرًا من الناس، لو كانت له حاجة دنيوية، فإنه يسعى للحصول على تحقيقها وتحصيلها، ولو احتاج إلى السفر والرحلة والكد والعناء والسهر ونحو ذلك.

فلو أراد أن يشتري ذهبًا-مثلاً- وكان ذهب أهل بلدته مخلوطًا، أو زيفًا، أو مغشوشًا فإنه يرحل الأميال الطويلة من أجل الحصول على الذهب الجيد، وهي حاجة دنيوية، بل قد يكون الأمر من باب التحسينات لا من باب الحاجات. فضلاً عن أن يكون من الضرورات، فهل مثل هذا الباحث اللاهث وراء متاع دنيوي، الذي أجهد نفسه في سبيل الحصول على ما يريد من الشيء الذي يلائمه في الجودة والحسن، هل مثل هذا يكون صادقًا، حينما يعتذر عن الرحلة أو الكد والتعب

في سبيل تحصيل العلم، الذي تحصل به سعادته في دنياه وأخراه، والذي بفقده تحصل مضرته وشقاوته وتعاسته في دنياه وأخراه؟! أم يكون هذا من الكاذبين في دعواه، المفرطين في تحصيل وتحقيق ما ينفعهم أبدًا على الدوام؟!

ثم إن الرحلة في طلب العلم لأخذه عن أهله سنة عمن سلف، وهل يكون ناشد الحق، وطالب العلم كسولاً بطالاً؟!

وهل بالكسل والبطالة والإخلاد إلى الأهل والولد والمال يكون طلب العلم؟!

ما أكثر!! الراكنين إلى أهل الأهواء-حقًا- من غير عذر ولا ضرورة.

**ووالله** لأن يبقى الإنسان جاهلاً خير له من أن يأخذ عن أهل الأهواء، ثم يصير بعدُ حربًا على العلم وأهله، وعلى المذهب السلفي وأهله، فالجهل البسيط الذي هو شأن العوام أهون من الجهل المركب، الذي هو شأن أهل الأهواء-وإن كان الجهل بنوعيه شرًا، فقد ذكر الحافظ ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره لسورة النساء عند قوله-تعالى-:

{ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ...

﴿١٧﴾ } الآية

ذكر-رحمه الله- قول من قال من السلف: ما عبد الله بذنب أقبح من الجهل، ولكن الأمر كما قيل:

**حنانيك بعض الشر أهون من بعض.**

**فإن قال:** ألا يجوز أخذ الحق من كل أحد جاء به، ولو كان بصاحبه ما كان من الكفر أو البدعة؟!

**فقل له:** فرق بين قبول الحق من كل من جاء به، وبين طلب العلم وأخذه عن كل أحد.

فلو أتانا كافر أو ملحد أو مبتدع بحق وجب قبوله، ولا يجوز رده لكفره أو إلحاده أو ابتداعه، ولكن ليس معنى هذا، وليس لازم هذا طلب العلم الديني عند الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم من المشركين والملحدين والمبتدعين، فإجماع السلف منعقد على التحذير من أهل الأهواء والتنكيل بهم والتشريد بهم والحذر منهم.

هذا، ومن باب قبول الحق ممن جاء به ولو كان من الشيطان، إقرارُ النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لما علَّم الشيطان أبا هريرة، إذ قال له: ألا أعلمك شيئًا لو قلته من ليلتك لم يقربك شيطان حتى تصبح. قال: بلى، قال:" اقرأ آية الكرسي" فقد أقر النبي ما قاله الشيطان لأبي هريرة وعلمه إياه، فصار شرعًا ودينًا بإقرار النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لا بمجرد قول الشيطان، فمن جاءنا بشيء فعرضناه على شرع الله فوجدناه حقًا وجب قبوله؛ لأنه من شرع الله، ولأن ردَّه يكون ردًا لشرع الله، فالنبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لم يمتنع من قبول ما علمه الشيطان أبا هريرة وإنما قبله وأقره لموافقته لشرع الله، فالعبرة بموافقة الشرع، فما وافق الشرع قبلناه، وما خالف الشرع رددناه على قائله كائنًا من كان.

وما أحسن!! ما قاله أحد صغار إخواننا إذ قال: إن النبي- صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قد قال:

((**صدقك وهو كذوب**)) فبين أنه كذوب.

**قلت:** فكما يجب قبول الحق من كل من جاء به وقبول الصدق من الأخبار، فإنه يجب بيان الكذب والكذابين فيها- أيضًا-، فيقال مثلاً: لو جاءنا مبتدع أو كاذب بخبر صادق، فليس لنا أن نرده، ولكن يجب التنبيه على المبتدع بأنه مبتدع،

تحذيرًا من الوقوع في بدعته بسبب الاغترار بصدقه في هذا الخبر، كما يجب التنبيه على الكاذب بأنه كاذب، ولو صدق في خبر ما، وليس في قصة الشيطان مع أبي هريرة شد الرحل لطلب العلم وأخذه عن الشيطان، فكذلك ليس في الأدلة ولا في منهج السلف ما يدل على طلب العلم وأخذه عن أهل الأهواء.

**فإن قال:** فقد أخذ أئمة الحديث الحديث عن بعض أهل الأهواء ورووا تلك الأحاديث عنهم، فكيف لا نأخذ العلم عن أهل الأهواء.

**فقل له:** من أحسن من تكلم في هذه المسألة، ونقل عن بعض أهل العلم فيها الشيخ ربيع بن هادي المدخلي-حفظه الله تعالى- وخلاصة ما ذكره مما كتبه، أن هناك فرقًا بين رواية الحديث وغيره، فالضرورة داعية إلى ذلك.

**قلت:** وبيان ذلك أنه بترك الأخذ عن هؤلاء المبتدعة تفوت مثل هذه الأحاديث، التي هي الدين مع القرآن، أما طلب العلم فأهله موجودون-ولله الحمد- وقد تم نقل الدين وتم حفظه -ولله الحمد- فأمنا ضياعه وفواته تحقيقًا لما تكفل الله به من حفظ هذا الدين بقوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾} والسنة من الذكر المحفوظ، يدل على ذلك قوله-تعالى-:

{وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ ﴿٣٤﴾} فآيات الله هي القرآن، والحكمة هي السنة.

ثم إن الذين رووا تلك الأحاديث عن المبتدعة علماء وأئمة قادرون على ميز السنة من البدعة والشبهة، لما من الله عليهم من العلم والبصيرة في الدين، ثم إن هؤلاء المبتدعة الذين أخذ عنهم هؤلاء الأئمة تلك الأحاديث كانوا صادقين، فكان الأئمة لا يقبلون أخبار كل مبتدع ورواياته، وإنما يقبلون أخبار الصادقين منهم لا الكذبة، على خلاف بين أهل العلم في بعض الشروط التي وضعت للأخذ، أعني أخذ الحديث عن المبتدعة، كشرط عدم كونه داعية إلى بدعته أم لا، أما بالنسبة لطلب العلم عن أهل الأهواء اليوم فيقال فيه:

إن الضرورة ليست ملجئة إليه، خاصة أنهم أو أكثرهم دعاة إلى بدعتهم، وأن بهم من الكذب ما بهم.

ثم إن العلم الذي عندهم هو موجود بأحسن منه عند غيرهم-ولله الحمد- هذا لمن بحث وفتش عن العلم، ورحل واجتهد، ومن جَدَّ وجد، فلا تركنن إلى البطالة والأخذ عن أهل الأهواء الذين يغمسونك في بدعتهم بدعوى الضرورة فإن الضرورة إن وجدت فيجب أن تقدَّر بقدرها، وكل شيء بحسبه، وقد قال- تعالى- : {قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾}

ولابد حينئذ من الأمن على النفس من الانزلاق في شباك أهل الأهواء وشبهاتهم، والذي أختاره لنفسي ولك البعد عنهم، والحذر منهم، بل التحذير منهم، والبحث عن أهل العلم من أهل السنة، ولقد قال-تعالى-:

{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾}

وقال: { فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦ }

وقال: { وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرًا ۝٤ }

وقال: { سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرًا ۝٧ }

فمن أحسن الظن بربه كفاه، وفي الحديث عن الله:"أنا عند ظن عبدي بي"،

ومن أساء الظن بربه وركن إلى أهل الأهواء ولَّيْنَاه ما تولى.

فمن ركن إلى دعوى الضرورة، ولم يسعه الأخذ عن أهل السنة والبحث عنهم والرحلة إليهم والطلب عليهم، ولو من أشرطتهم وكتبهم وما أيسرها!! وما أكثرها!! خصوصًا في هذا العصر، فلا وسع الله عليه، ومن لم يستغن في طلب العلم بعلماء أهل السنة وطلبة العلم منهم، فلا أغناه الله، ومن لم يكفه الأخذ عن أهل السنة، فلا كفاه الله، على أننا لا نكاد نجد أحدًا يرتاد مجالس أهل الأهواء، ويدمن ذلك، إلا اكتوى بنارهم، وسرت عدواهم إليه، كما تنتقل العدوى من البعير الأجرب إلى الإبل الصحيحة فتجربها، فما أحسن!! هذا الشرع الذي سد ذرائع الفتنة بشبهات أهل الأهواء بالأمر بالحذر منهم، وما أدق!! فهم السلف وأعمقه في الحذر والتحذير من أهل الأهواء والأخذ عنهم، وما ذاك إلا لشدة احتياطهم في صيانة الناس من الأهواء المضلة.

وإذا كان لا يجوز المخاطرة والمقامرة بالصحة أو بالمال. فعدم جواز ذلك بالدين من باب أولى، فإياكم وولوج أبواب الفتن، فإنه من ولج فإنه يفتن، ومن فتن فإنه قد لا يستطيع الخروج منها، إلا أن يتداركه الله برحمته.

وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي-رحمه الله-:

دخل شيخنا أبو حامد الغزالي في بطون الفلاسفة، ثم أراد أن يخرج منهم فلم يستطع، أو كما قال.

وها هو شأن الأهواء إذا أشربتها قلوب العباد، نسأل الله العافية.

فمن زج بالناس إلى الأخذ عن أهل الأهواء فليس بناصح ولا أمين وإنما هو فاتن مفتون. أما السلفي فإنه الذي ينأى عن الأهواء بنفسه، ويحذر غيره منها ومن أهلها، وهذا شأن كل ناصح أمين حَذِرٍ على نفسه وعلى غيره. وهؤلاء في قلتهم كما قيل:

**وقد كانوا إذا عدوا قليلاً  فقد صاروا أقل من القليل**

**فإن قيل:** ليس هذا أوان اشتغال المسلم بجرح أخيه المسلم، فقد تكالب أعداء الإسلام على أهل الإسلام.

**فقل لـه:** لم يزل ولا يزال أهل العلم في كل عصر ومصر يشنون الحرب على أهل الأهواء، مع وجود عداوات أعداء الإسلام لأهل الإسلام بشتى السبل الممكنة لهم، قال -تعالى-: { وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ ۝٣١ }

فكذلك أتباع الأنبياء، فإن لهم أعداء من المجرمين في كل عصر ومصر، ولم يمنع أهلَ العلم وجودُ تلك العداوات من قِبَلِ أعداء الإسلام الكفرة، لم يمنعهم ذلك من جرح أهل الأهواء ، ثم إنه بالسكوت عن أهل الأهواء، وترك جرحهم والتحذير منهم، يجتمع على أهل الإسلام عَدُوَّان، عدو من أنفسهم، وعدو من غيرهم.

ولا شك في أن دحر العدو الداخلي للتفرغ للعدو الخارجي، هو الذي تقضي به النقول الصحيحة والعقول السليمة الصريحة، فلا يتم مجاهدة العدو الخارجي إلا بالبدء بمجاهدة العدو الداخلي.

ويمكن أن يستدل على البدء بالعدو الداخلي-باعتباره أقرب-بقوله-تعالى-:

{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ

﴿١٢٣﴾ }

وأهل الأهواء من الخوارج المحاربين هم ألصق وأقرب من أهل الإسلام من الكافر، فكانوا أولى بأن يقاتلوا قبل غيرهم، وأن يجاهدوا جهادًا كبيرًا. فما شرع الجهاد إلا لتحقيق المصالح ودرء المفاسد.

ولا شك في عظم مفسدة هؤلاء الخوارج، وقد قاتل علي-رضي الله عنه- الخوارج، وقتلهم مع وجود أعداء الإسلام من الكفار في زمنه، فهذا سبيل القوم من اقتفى أثرهم فيه كان سنيًا سلفيًا، ومن لم يقتف أثرهم فيه كان مبتدعًا خلفيًا أو جاهلاً بتقديم الأولى فالأولى في باب تحقيق المصالح ودرء القبائح.

ومثل هذا لا يصلح للولاية أو الخلافة؛ لأن الخليفة أو الوالي أو الأمير لا بد أن يكون مكينًا مع كونه أمينًا.

قال -تعالى- عن نبي الله يوسف: { وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ

إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ }

وقال-تعالى- عن إحدى ابنتي الرجل الصالح بشأن كليم الله موسى:

{ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ }

وقال -تعالى- في وصف الروح الأمين جبريل، الذي نزل بالقرآن على قلب محمد-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- خاتم النبيين:

{ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ

﴿٢١﴾ }

ذكر نحو ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- في (السياسة الشرعية) له فمن أراد نصه فليطلبه من هناك، فإني أكتب من الحافظة -أي الذاكرة--نسأل الله الحفظ والإعانة-.

**فإن قال:** كيف يسلم منك الكفار، ولا سلم منك أخوك المسلم؟!

**فقل له:** هذا الكلام منك غير صحيح، وفيه مغالطة؛ لأن من جاهد أهل الأهواء والبدع مع كونهم مسلمين، بغضًا للبدع وأهلها وحبًا للسنة وأهلها، وبراءة من البدع وأهلها، وموالاة للسنن وأهلها، لا يُتصور في حقه محبة الكفر وأهله، ولا موالاة أهل الكفر، ولم يكن لهذا السُني إلا أن يجاهد الكفار لو لا ما وجد من مانع مجاهدتهم ابتداءً، ألا وهو وجود أهل الأهواء المفسدين في سبيله، فكان –ولابد– من تطهير السبيل، وتخليته منهم ومن شرهم، وإزالة العقبات، والحواجز والموانع التي تحول دون جهاد أهل الكفر ابتداءً، فأهل الأهواء هم الذين يضطرون أهل السنة إلى مثل هذا الجهاد لهم قَبْل الكفار، ومعلوم أنه لا بد من استيفاء الشروط وانتقاء الموانع في مقاتلة الكفار.

وها هنا قد وجد مانع وهو الاشتغال بدرء مفسدة أهل الأهواء، فأهل السنة مضطرون إلى جهاد أهل الأهواء قبل أعداء الإسلام من الكفار، ومعلوم أن جهاد أهل الأهواء تارة يكون باللسان، وتارة يكون بالسنان، وكذلك جهاد الكفار تارة يكون باللسان، وتارة يكون بالسنان.

أما جهاد أهل الأهواء باللسان فهو قائم في كل وقت وحين، وأما جهادهم بالسنان فعلى حسب ما يراه ولى الأمر من أسباب ووسائل درء مفسدتهم، فإن رأى ضرورة مقاتلتهم بالسيف فعل، وقدم ذلك على جهاد الطلب للكفار، وأما جهاد الكفار باللسان فهو في كل وقت وحين، وأما جهادهم بالسنان فعلى حسب توفر شروط الجهاد وانتفاء موانعه، هذا بالنسبة لجهاد الطلب.

أما إذا كان الجهاد جهاد دفع فإن لم يكن أهل الأهواء قد خرجوا بالسيف فوجب الكف عنهم وجاز الاستعانة بهم، إن أمنت غائلتهم، واضطر إلى الاستعانة بهم ، ووجب اشتغالهم جميعًا بدفع العدو الكافر، وإلا فالظاهر مقاتلتهم قبل الكفار–أيضًا– في هذه الحالة، أي إن اجتمعوا على مقاتلة المسلمين، في حال تسلط الكفار–أيضًا– على المسلمين ومحاربتهم، ودخول الكفار ديار الإسلام، لما قد علمت من عظم مفسدتهم، وأنهم يفسدون الدين في القلوب ابتداءً، بخلاف الكافر المحارب فإنه يفسد الدين في القلوب تبعًا.

هذا ما ظهر لي في هذا بناء على قاعدة المصالح والمفاسد، إن لم يمكن الجمع بين قتالهم وقتال الكافر المحارب، والله أعلم.

الشاهد أن الكفار لم يَسْلَموا من أهل السنة، وإنما يجاهَدون من قبل أهل السنة، إما باللسان، وإما بالسنان واللسان معًا، متى قدروا على ذلك، ولم يمنعهم من ذلك مانع.

فكيف يقال بعد ذلك: أيسلم منك الكفار ولا يسلم منك أخوك المسلم، بما تحويه هذه المقالة من مغالطة؟! على أن تنزيل هذا الكلام على أهل الأهواء هو الأولى، فإنهم يؤذون أهل السنة إيذاءً شديدًا، بشتى أنواع الإيذاء، في كل عصر ومصر، ولا يعرف عنهم مثل تلك الشدة على الكفار، فهم–حقًا– لا للإسلام نصروا، ولا لعدوه كسروا.

فقول هذا القائل لهذه المقالة يصدق على أهل الأهواء، وينطبق عليهم المثل السائر: **رمتني بدائها وانسلت.**

وقد قال–صلى الله عليه وعلى آله وسلم– في الخوارج: ((**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**))

وقد وقع ما أخبر به النبي–صلى الله عليه وعلى آله وسلم– في عهد علي–رضي الله عنه–، فقاتلهم علي–رضي الله عنه– وقتلهم.

ولا يزال هذا شأن الخوارج من لدن زمن خروجهم إلى يومنا هذا.

فعاد قول هذا القائل على عكس ما قال، كبرت كلمة تخرج من أفواههم، إن يقولون إلا كذبًا.

**فإن قال:** أليس الكلام في أهل البدع مما يثير الفتنة بين المسلمين وأهل البدع؟!

**فقل له:** إن لم تبلغ بأهل الأهواء بدعتهم إلى حد الكفر، فإنه يجب-أيضًا- والحالة هذه-الأخذ على أيديهم، والتحذير مما هم عليه؛ لأن ما هم عليه من الضلال والبدعة هو الفتنة قال-تعالى-: {فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾} وقال-تعالى-: {هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ ﴿٧﴾} فأهل البدع هم أهل الفتنة، وقد قال -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-:

**((فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم))**

فأمر بالحذر منهم، وهذا يدل على التحذير منهم، لأن من لا يعلم حالهم كيف يَحذرهم؟!، فوجب التحذير منهم، حتى يعلم الجاهل حالهم فيحذرهم.

إذن هذا الحذر والتحذير من أهل البدع أهل الفتنة هو حذر وتحذير من الفتنة، فكيف يقال بعد هذا: إن الكلام في البدع مما يثير الفتنة؟! أليس هذا يلزم منه الاستدراك على الرسول وتعقبه وتخطئته فيما أمر به من الحذر من هؤلاء مبتغي الفتنة؟!.

ثم إننا سمعنا بآذاننا من يثير على المنابر يوم الجمعة الخلاف بين السلفيين وبين خصومهم، ويتحامل على السلفيين، ويستدل بالعموم أو بالإطلاق في موضع التخصيص أو التقييد، تشويهًا منه للسلفيين ومحاماة منه عن شيخه أو أشياخه الذين تكلم فيهم أهل العلم.

وهو وغيره في حملة التشويه هذه مبطلون، أليس هذا وأمثاله داعين إلى الفتنة، مقحمين للعوام الجهال في هذه الفتنة؟!

إن مثل هذا التشويه المتعمد، كذب على الله وعلى رسوله، وعلى أهل العلم، وتحريف لكلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم، وإلحاد في آيات الله، وفي أحاديث رسوله، وفي كلام أهل العلم.

إذ فسر الفاتن المفتون ذلك كله على غير تفسيره، وحمله على غير محمله، ومال بالكلام عما وضع له، وقصد منه، وسأفرد لهذا رسالة ومقاله مختصرة مستقلة-إن شاء الله-تعالى- فمَن صاحب الفتنة يا عباد الله، ويا معشر المنصفين؟!

**فإن قال:** ولم اجتمع أهل الأهواء كلهم عن بكرة أبيهم على السلفيين؟!

**فقل له:** اجتمع أهل الأهواء كلهم عن بكرة أبيهم على السلفيين ورموهم عن قوس واحدة، ذلك؛ لأن السلفيين هم أعلم الناس بالحق، وهم الذين وقفوا لأهل الأهواء بالمرصاد ليلاً ونهارًا، سرًا وجهارًا، فبددوا باطلهم، وأصبحوا شذر مذر،

ووقع أهله في حيص بيص، وكان على أهل الأهواء أن يشكروا لأهل السنة صنيعهم، إذ بينوا باطلهم، حتى يرجعوا عنه، وحتى يحذر منه غيرهم، ولكنهم لم يفعلوا ذلك، وكفروا نعمة الله عليهم.

ولقد قال –تعالى–: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ }

وقال–سبحانه–: { وَهَلْ نُجَازِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ }

وقال: { وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ }

فما أعظم!! نعمة الله على عباده، بإرسال الرسل، وبإيجاد العلماء ورثة الأنبياء الذين يبينون للناس دينهم، ويحذرونهم من الشرك والبدع والأهواء وما أشد!! إساءة أهل الأهواء إلى أهل العلم والسنة، فكفران أهل الأهواء لنعمة بيان أهل السنة لباطلهم سبب لتسليط أهل السنة عليهم بما هو أشد، إن أهل العلم نُذُر لأهل الأهواء بين يدي عذاب شديد، إذ إن العاقبة للمتقين ولا عدوان ولا خسران إلا على الظالمين، وكيف يأسى أهل السنة على أهل البدع عند حلول ونزول بأس الله عليهم، وقد قال الله– عز وجل– عن قوم شعيب الذين استكبروا عن اتباعه: { فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ } !؟

فكم من قرن من الخوارج المعتدين على أهل السنة قد خرج، فأذاقه الله البأس والويل وانقطع، وقاتله أهل السنة، وأخمدوا شوكته، وجعلوه نكالاً وعبرة للمعتبرين، وها هي الفتنة اليوم تكشر عن أنيابها، وتنفث سمومها في مجتمع المسلمين وفي ديارهم، استعدادًا ليوم الملحمة التي سيكون ضحيتها –إن شاء الله– هؤلاء الساعون في الفتنة الخائضون فيها، وقى الله أهل السنة شر كل فتنة في كل عصر ومصر.

**فإن قال:** ولم اعتبرت ابن باز والألباني وابن عثيمين والوادعي والجامي والمدخلي والنجمي والفوزان وغيرهم ممن سار على دربهم سائرين على درب وسبيل أهل السنة، ولم تجعل خصومهم ممن يقع فيهم من طرف خفي أو جلي من أهل السنة، مع أن كثيرًا منهم ينتسب إلى السنة، أو إلى مذهب السلف؟!

**فقل لـه:** نحن لا نتحجر واسعًا، وما يضرنا لو كان كل مسلم على السنة، وعلى مذهب السلف، وإنا-والله- لنحب للمخالف لأهل السنة أن يرجع عن أخطائه وبدعه، إلى السنة وأهلها، ولكن الأمر كما قال الله-عز وجل-:

{ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ ﴿١١٩﴾ }

فالاختلاف والأهواء سنة كونية،ولابد من تحقق ما قدره الله-عز وجل- وشاءه وأراده كونًا، فالأمر في إدخال فلان في السنة أو إخراجه منها ليس إلى هوى أحد، وإنما الأمر مرجعه إلى شرع الله، وسلوك سبيل أهل العلم والإيمان فمن أطاع الله والرسول وسلك سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يومنا هذا، فهو السني السلفي، ومن عصى الله وشاق الرسول وسلك غير سبيل المؤمنين، فهو البدعي الخلفي الشقي، قال-تعالى-:

{ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ }

فنظرنا إلى هؤلاء العلماء السالف ذكرهم وغيرهم من أهل عصرنا، فوجدناهم سائرين على طريق الكتاب والسنة بفهم سلف هذه الأمة، ووجدناهم أهل أثر ونظر، ولا يقدمون النظر على الأثر، ووجدنا أنهم كبار السن كبار العلم، راسخون فيه، كلامهم واحد، ومنهجهم واحد، واعتقادهم واحد، وهو المثبت المبثوث في بطون كتب السلف، فلم يحيدوا عن طريقهم، ولم يزيغوا عنه، وهم في الوقت نفسه ظاهرون على من ناوأهم وخالفهم، فكلما نجم ناجم من البدعة، أو نبتت نابتة منها، أو أطلت فتنة برأسها، في المشرق أو في المغرب،إلا وجدتهم وقفوا لها بالمرصاد، وهبوا عن بكرة أبيهم، وقاموا عليها قومة رجل واحد، ورموها عن قوس واحدة، فخمدت وخمل ذكرها، وذكر أصحابها، ووجدناهم لا يزدادون بذلك الرد لتلك المحدثات، والرد على أهلها إلا ظهورًا وسطوعًا ورفعة، بخلاف حال من ناوأهم وخاصمهم ووقع فيهم، فإنا نجد أنهم مغلوبون بالحجة، مقهورون بسيفها، مدحورون ببغيهم وظلمهم واعتدائهم على أهل السنة، فالفرق بينهم كالفرق بين الليل والنهار، والظلمة والضياء، فلا يخفى شيء من ذلك إلا على العميان.

فكذلك أهل العلم وأهل البدعة، لا يخفى حال كلٍّ وعلامات كُلٍّ إلا على الصم البكم العمي الذين لا يعقلون ولا يفقهون.

وقد قال -تعالى-: { أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ }

فإنه لا يستوي حال هؤلاء، وهؤلاء إلا كما يستوي المؤمن والفاسق، وإذا علم أنه لا يستوي المؤمن والفاسق، فإنه لا يستوي أهل السنة وأهل البدعة.

فعند أهل العلم تجد إرث النبوة، وتجد الحق والعدل والصدق والنصح، والتواضع، والأخلاق الحسنة، والرحمة، وأما خصومهم فتجدهم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، وتجد عندهم البغي، والكذب، والجهل، والأخلاق السيئة الدنيئة،

واتباع المتشابه، وترك المحكم من كلام الله أو كلام رسول-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- والوقيعة والطعن في علماء السنة وأهل الأثر، وموادة أهل الأهواء، ومعاداة أهل السنة، فعلمنا بذلك وغيره أن خصوم أمثال هؤلاء العلماء لا يكونون على السنة، إذ كانت الخصومة في الدين، وأن هؤلاء الخصوم للعلماء لا يمكن أن يكونوا أولى بالحق من هؤلاء العلماء الكبار الراسخين ومن تبعهم من طلبة العلم، ولا يُسَوِّي بين هؤلاء وهؤلاء إلا من سوى بين البعر والتمر، والشحم والورم، والماء والنار، ومعلوم فساد هذا.

إذا علم فساد هذه التسوية، ففساد تقديم هؤلاء السفهاء الجهال الأحداث على أهل العلم معلوم من باب أولى.

**فإن قال:** إن الكلام في أهل الأهواء ليس من الإصلاح بين الناس، والله يقول:

{ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ ﴿١١٤﴾ } وقال: { فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ ﴿١٠﴾ }

**فقل له:** إن الإصلاح لا يكون إلا بموافقة الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

وقد دلت أدلة الكتاب والسنة على جرح أهل الأهواء والتحذير منهم، وعلى هذا جرى عمل أهل السنة خلفًا عن سلف إلى يومنا هذا.

فلا يجوز أن يكون هؤلاء جميعًا سالكين سبيل الإفساد، وقد قال الله-عز وجل-:

{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴿١١٠﴾ }

وقال: { وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ }

ولا شك في أن الأهواء والبدع من أعظم المنكرات التي يجب النهي عنها والتحذير منه ومن أهلها، وإذا كان من أوصاف المفلحين، وإذا كان من أوصاف هذه الأمة التي هي خير أمة، النهي عن المنكر، دل ذلك على أن النهي عن البدع هو من الإصلاح في الأرض وليس من الإفساد. وقد قال الله-عز وجل- قبل قوله: { فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ ﴿١٠﴾ } قال: { إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴿١٠﴾ }

فالمؤمنون يجب الصلح بينهم، أما البغاة فيجب الأخذ على أيديهم، حتى يرجعوا إلى الحق، قال-تعالى-:

{ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ }

فمن بغي على أهل السنة ومنهجهم، وآذى أهل السنة، وطعن في منهجهم، فيجب التنكيل به، والتشريد به، حتى يرجع إلى الحق.

فإن لم يرجع إلى الحق فليجاهد أبدًا. وهذا الجهاد هو من الإصلاح لا من الإفساد. فتفطن.

**فإن قال:** أليس المبتدع مسلمًا، له حق المسلم، من إلقاء السلام عليه، ونحو ذلك من الحقوق.؟!

**فقل له:** إن لم تبلغ بدعته إلى حد الكفر فهو-أيضًا- قد أهدر حقه من إلقاء السلام عليه ورده، وإجابة دعوته، وعيادته إذا مرض، واتباع جنازته، وتشميته إذا عطس، ونحو ذلك، وإذا كان النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قد هجر كعب بن مالك وصاحبيه، وأمر الصحابة بذلك، مع أنهم لم يكونوا مبتدعين، ومع أنهم لم يكونوا منافقين، وإنما تخلفوا عن غزوة تبوك لغير عذر، وهذه وإن كانت معصية كبيرة إلا أنها دون البدعة، فإن البدعة من أعظم كبائر الذنوب، فإذا كان هذا شأن النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وأصحابه معهم-وشأنهم ما ذكر-، فكيف بمن ابتدع في دين الله، وطعن في أهل العلم، والمنهج السلفي، أليس مثل تلك الحقوق السابق ذكرها مهدرة في حقه،وهو المتسبب في ذلك والجاني على نفسه بسبب ابتداعه؟! اللهم بلى.

**فإن قال:** وما المصلحة في هجر المبتدع، إذا كان يُعلم من حاله إصراره على بدعته، وعدم رجوعه عنها بذلك الهجر؟!

**فقل له:** إن لم يكن من هذا الهجر إلا مصلحة أمن الهاجر على نفسه وسلامته من شبهات المهجور لكفى بذلك مصلحة، أضف إلى ذلك أنه يمكن أن يرجع مع الوقت إذا طال الهجر في حقه-وضاقت عليه الأرض بما رحبت- أن يرجع إلى السنة، فإن لم يرجع، فلا أقل من التحذير منه، حتى لا يتابع على بدعته، وفي هذا تقليل لأوزاره؛ لأن من دعا إلى بدعة، فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء.

فإن لم يمكن دفع الناس عن اتباعه، فلا أقل من تحقيق المصلحة الأولى للهاجر، وهي سلامته من هواه وابتداعه بالبعد عنه والحذر منه.

وقد جاء في صحيح مسلم-رحمه الله- أن المؤمنين يفرون من الدجال في الجبال، ومعلوم أن الدجال لن يرجع عن دجْله وكذبه، ومعلوم كثرة أتباع الدجال في زمنه-أعاذنا الله من شر فتنته-.

**فإن قال:** ألا يدل كثرة تصنيف هؤلاء الذين تقول عنهم: إنهم خصوم السلفيين والمنهج السلفي، ألا يدل كثرة تصنيفهم للكتب وكثرة دروسهم المسموعة، على كثرة علمهم، بخلاف من تقول: إنهم علماء سلفيون.؟!

**فقل له:** ليس العلم بكثرة التأليف والتصنيف للكتب، كما نقل نحو ذلك بعضهم عن الإمام البربهاري ولا بكثرة الدروس والمحاضرات، وإنما المعتبر هو اتباع الحق والسنة، واقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة، كما جاء عن بعض السلف، وقد قال ابن القيم-رحمه الله-:

**العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة ليس بالتمويه**

**ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين رأي فقيه**

أو كما قال-رحمه الله-.

على أن مؤلفات ومصنفات أهل الأهواء، إن كانت من جهودهم، فهي من زبالة أذهانهم، ونخاتة أفكارهم، واتباع أهوائهم، وإن كانت مجموعة من كلام غيرهم وتأليفه وتصنيفه، فهم إنما يقعون على نظرائهم وأشباههم، ممن هم على شاكلتهم ومنهجهم ونحلتهم، والطيور على أشكالها تقع.

وإن نقلوا في كتبهم شيئًا عن أهل العلم، فإما أن يحرفوا لفظه، وإما أن يحرفوا معناه، ويأخذوا بزمام كلام أهل العلم إلى ما يخدم أغراضهم الدنيئة ويُوغلوا في التدليس والتلبيس والكذب وخلط الحق بالباطل، وإما أن ينقلوا عن أهل العلم بعض كلام، كتصحيح حديث أو تضعيفه أو غير ذلك، من أجل تلك الأغراض السابقة، وذرًا للرماد في العيون.

فإن سلموا من ذلك كله، فما نقلوه من الحق من كلام أهل العلم فهو من الحق الذي لا ننكره وإنما ننكر عليهم أهواءهم وباطلهم، وما كان معهم من حق فإنه موجود ومدون ومسطر في كتب أهل العلم وفي مسموعاتهم.

فأخذ هذا القدر الذي عندهم من الحق من جهة أهل العلم الذين هم أهله أولى وأحرى بسلامة صاحبه من الوقوع في محبة أهل الأهواء بسبب مثل هذا الشيء من الحق عندهم. تلك المحبة الناجمة عن هذا الاغترار بذلك الحق الذي عندهم قد تجر صاحبها إلى التهوين مما هم عليه من الباطل، وإلى توقيرهم، والدعوة إليهم، وتؤدي إلى تكثير سوادهم، بل تؤدي إلى فرح أهل الأهواء وتقوية قلوبهم على بدعهم، فيكون في ذلك النهج من الصد عن سبيل الله ما فيه.

فوجب الحذر منهم، ومن مؤلفاتهم المكتوبة والمسموعة، وإن كان فيها حق، حذرًا مما ليس بحق، خاصة أن الشبهات تنطلي على أكثر الناس، والله المستعان.

**فإن قال:** ألا يجوز اتباع المجتهد منهم؟

**فقل له:** إن وجد فيهم مجتهد، فإن له أجر اجتهاده، ولا يجوز مع ذلك أن يتابع على باطله، فيجب الحذر من الباطل والتحذير منه على كل حال، فاجتهاده لا يُسَوِّغُ ولا يُجَوِّزُ متابعته على منهجه الباطل الذي خالف فيه الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح-رضي الله عنهم-.

قال-تعالى-: {ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣ }

**فإن قال:** وهل يجوز للصغار خوض غمار هذا المعترك من الخلاف بين السلفيين ومن نسميهم بأدعياء السلفية؟

**فقل له:** قد جاء رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بهذا الدين لكل الناس قال-تعالى-:

{ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ }

فلم يكن الدين حَجْرًا على طائفة من الناس دون طائفة، وقد قال النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وهو يعدد حق المسلم على المسلم: ((**وإذا استنصحك فانصح له**)).

فينصح الصغير والكبير باتباع الحق والهدي والرشاد والسنة، وينصح بالحذر من الأهواء والبدع.

وقد قال-تعالى-: { لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ... ﴿١٦٤﴾ } الآية، ويدخل فيها الصغير والكبير، والذكر والأنثى.

وقد كان النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يعلم الصغير والكبير، والذكر والأنثى. وجاء عن بعض السلف قوله: «إذا نشأ الحدث على السنة فارجه، وإلا فلا ترجه» أو كما قال.

وهل يجوز أن يترك الصغار بلا تعليم ولا تحذير حتى يتخطفهم أهل الأهواء بشبههم وأباطيلهم، وبعد ذلك نندم ونبكي، ولات حين بكاء ولا مندم؟!.

**فإن قال:** قد نجد في كلام بعض أهل العلم خطأ ما أو زللاً ما، يستند إليه أدعياء السلفية، ويشيعونه، ويفرحون به فرح الواقع على صيد سمين.

**فقل له:** أجل! وهذه سنة الله في عباده الذين هم دون الأنبياء والرسل والملائكة، أن يعلموا ويجهلوا، وأن يصيبوا ويخطئوا، والمعصوم من عصم الله.

فإما أن يكون هذا الكلام الذي تشبث به أهل الأهواء منقوضًا بكلام آخر متأخر لذلك العالم، أو يكون ذاك العالم لا يعرف له إلا هذا الكلام، والظن به أنه لو علم الحق ما جاوزه إلى غيره، فالواجب -والشأن ما ذكر- قبول كلام العالم الذي قام عليه البرهان، ودل عليه الدليل وترك ما سواه، والأَثَرِيُّ إنما يتبع الحق بدليله، ويتبع الأثر، ولا يتبع أقوال الرجال المخالفة للحق.

وقد قيل ما معناه: اعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال. اعرف الحق تعرف أهله،ومثل هذا المتشبث بكلام بعض أهل العلم السابق المنقوض، أو بكلامه المخالف للدليل إنما هو كالمتشبث بالطحلب، وكالمتشبث بخيط العنكبوت، وهذا لا ينفعه.

وقد كان الواجب على هذا المتشبث بمثل تلك الأقوال الضعيفة أو المرجوحة أو الباطلة، كان عليه أن يتبع الحق بدليله، ولا يقلد في دينه الرجال.

وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على اتباع هؤلاء لأهوائهم، والسعي الحثيث في نصرة باطلهم وأهوائهم بأي سبيل، ولو فرض رجوع هذا العالم-لو كان ميتًا- وخروجه من قبره قبل يوم القيامة لتبرأ من مسلك هؤلاء الذي خالفوا فيه أهل العلم، وتركوا ما استبان لهم من الدليل لقوله. بل يقال:

إن أهل العلم برآء في حياتهم قبل مماتهم ممن يقلدهم فيما أخطأوا فيه، أو زلت فيه أقدامهم، وإلا لم يكونوا من أهل العلم أصلاً، وقد نَقل بعضهم عن الشافعي-رحمه الله- ما معناه: إذا وجدتم في كلامي شيئًا يخالف الكتاب والسنة فخذوا بالكتاب والسنة واتركوا قولي، وأنا راجع عنه في حياتي وبعد مماتي، نقل نحو هذا الألباني في مقدمة صفة الصلاة عنه، ونقل عن غيره من الأئمة في هذا المعني .

**فإن قال:** فما تقول فيمن كان يظهر السلفية في حياة شيخه، ثم لما مات شيخه خالف أهل العلم، الذين هم على طريق شيخه؟!

**فقل له:** إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، يصرفها كيف يشاء، فمن خالف سبيل شيخه السلفي بعد موته فليس هو من شيخه في شيء، وليس شيخه منه في شيء، والمعتبر هو استقامة العبد على منهج السلف حتى الممات، والأمور بمآلها، وإنما الأعمال بالخواتيم.

على أننا وجدنا جمعًا من هؤلاء في بلدان شتى قد حادوا حيدة ظاهرة عن منهج مشايخهم السلفيين بعد موتهم، تلك الحيدة تجعلنا في شك-على الأقل- من سلفيتهم في حياة شيوخهم، فإذا علمت أن هؤلاء أو أكثرهم لم يكونوا سلفيين قبل الأخذ عن هؤلاء المشايخ السلفيين، وإنما كانوا على مناهج منحرفة عن مذهب السلف، قطعت، أو كدت أن تقطع أنهم لم يكونوا سلفيين في حياة مشايخهم السلفيين حال الأخذ عنهم، وتأكدت أن المرء على أول نشوئه، وكان حالهم- والشأن ما ذكر- كما قيل:

**ودارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم**

ولذا نقول: يجمل ويحسن تذكر حال النشأة الأولى قبل الانتساب إلى السلفية وادعائها فإن أكثر الناس يبقى فيهم التأثر بتلك النشأة، ويبقى فيهم رواسبها،-إن لم تكن باقية فيهم بكمالها- وقد قيل:

وما الحب إلا للحبيب الأول، وقد سبق ما جاء عن بعض السلف من أنه قال:"إذا نشأ الحدث على السنة، فارجه وإلا، فلا ترجه".

وليعلم أن كثيرًا من الناس تنكر للدعوة السلفية بعد موت الأئمة الأربعة ابن باز، والألباني، وابن عثيمين، والوادعي-رحمهم الله جميعًا- وقد صرح أحدهم بأنهم في مفترق الطرق، قال هذا مفاصلة للسلفيين، هذا المصرح هو أبو الحسن المصري نزيل مأرب، حكاه عنه - في غالب ظني- الشيخ ربيع بن هادي المدخلي-حفظه الله- فبعث الله عليهم مَن هو كهؤلاء الأئمة الأربعة أو أشد عليهم، فدك حصونهم دكًا، وقلع خيام بدعتهم بريح السنة وعواصفها وأعاصيرها قلعًا، وأصبحوا بشر نهار، وباتوا بشر ليل، وأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، وأرسل عليهم شهب الحق والبرهان، على أيدي زمرة من العلماء، يتقدمهم الشيخ الإمام ربيع بن هادي المدخلي، والشيخ الإمام أحمد بن يحي النجمي وغيرهما من أهل العلم، فأعز الله بهم دينه، وأعلى كلمته، وأخزى أعداء المنهج السلفي، فرجعوا بالخيبة.

وإن شئتُ أن اسمي لك بعض هؤلاء الذين تنكروا للمذهب السلفي وللسلفيين بصراحة بعد شيوخهم سميت لك أبا الحسن مصطفى بن إسماعيل، نزيل مأرب وشقرة بالأردن، ولا تسأل عن تردي حال القوصي المصري، وابن أبي العينين المصري، وعلي الحلبي الفلسطيني نزيل الأردن. وكذلك مشهور حسن سلمان، وغير هؤلاء كثير.

فالحمد لله على إظهار السنة، وقمع البدعة.

**فإن قال:** فما أنت قائل لمن يقسم بأن الله لن يسألك لِمَ لَمْ تبدع فلانًا؟

**فقل له:** لا يقول هذا إلا مُتَأَلٍّ كذابٌ على الله، ذلك؛ لأن الله-عز وجل- يقول:

{ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ } ويدخل في السؤال السؤال عن تبديع وتفسيق من استحق التبديع والتفسيق نصيحة لعباد الله، وتحذيرًا لهم من البدع وأهلها ومن الفسوق وأهله، ولا شك أن جرح المجروحين وتفسيق الفاسقين مما جاء به دين الإسلام، وقد قال الله-عز وجل- لنبيه:

{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ ﴿٦٧﴾ }

وقال: { ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ ﴿٣٩﴾ }

ولا شك في أن جرح المجروحين مما جاء به الرسول من عند الله، ودل عليه شرعه ورسالته، وفي حديث أسماء-رضي الله عنها-:

((**ولقد أوحى إليّ أنكم تفتنون في القبور مثلَ** أو **قريبًا من-فتنة الدجال**)) قال الراوي: لا أدري أيّ ذلك قالت أسماء ((**يُؤتى أحدكم فيقال له: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن، أو الموقن**)) لا أدري أيّ ذلك قالت أسماء ((**فيقول: محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى، فاجبنا وآمنا واتبعنا**، ...)) الحديث[1]. وعلم الجرح والتعديل من البينات والهدى الذي جاء به رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، والذي يدخل ضمنًا في جواب المؤمن أو الموقن في قبره بقوله: ((**فأجبنا وآمنا واتبعنا**)) فمن قال: إن الله لا يسأل العبد في قبره؛ لِمَ لَمْ تجرح فلانًا أو تبدعْ فلانًا وأقسم على ذلك، فهو متألٍ على الله، كاذب عليه وعلى شرعه وعلى رسوله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وقد ادعى تلك الدعوة وأقسم عليها كذبًا بعضُ جهال زماننا-والله المستعان-.

**فإن قال:** لو فتشت في قلوب هؤلاء الذين يتكلمون في غيرهم لوجدت الحامل لهم على ذلك الهوى.

**فقل له:** قد أقسم بعض الناس على ذلك، ولقد سمع كاتب هذه الأوراق من أقسم على ذلك في خطبة جمعة لأحد هؤلاء المقلدة من أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام.

ألم يأت هذا الجهولَ الظلوم، وأمثاله أن النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: ((**إني لم أومَرْ أن أنقب عن قلوب الناس أو أشق بطونهم**))؟! ثم أليس الأصل إحسان الظن بالمسلم؟! فكيف إذا قامت الأدلة والبراهين على صدق هؤلاء

---

[1]- متفق عليه، وهذا لفظ البخاري في "كتاب الكسوف" برقم (١٠٥٣) طبعة بيت الأفكار الدولية، لسنة ١٤١٩هجرية.

المنتقِدين، وأنهم إنما ينتقدون المخالف في أخطاء ارتكبوها وضلالات اقتحموها، وأيدهم الله على خصومهم فأصبحوا ظاهرين؟!

**فإن قال:** كان يجب عليك أن تذهب إلى هؤلاء الذين تنتقدهم في بيوتهم وتكلمهم فيما بينك وبينهم بدلاً من أن تشهر بهم على الملأ.

**فقل له:** لو كان ما تكلم به المخالف أمرًا يتعلق بخاصة نفسه لم يتعدَّ إلى غيره لكان لذلك وجه، أما وقد أخطأ في أمور يتعدى ضررها إلى غيره، وقد تكلم بذلك على الملأ، فالعدل أن يزال الضرر، بنشر الرد عليه في وسيلة مكافئة للتي نشر فيها الباطل المتعدي، ثم يقال:

هل هذا المخالف حينما رد على غيره على الملأ، ونشر ذلك على الملأ، هل ذهب هو إلى غيره وكلمه فيما بينه وبينه؟

فإن قلت: نعم

قلنا: كذبت

وإن قلت: لا

قلنا: كيف تلزم غيره بهذا، ولا تلزمه هو به حين رد على غيره؟!

أتوجب علينا ما لا توجبه على غيرنا، مع أننا جميعًا ما بين رادٍّ، ومردود عليه؟! أليس هذا هو الكيل بمكيالين، والوزن بميزانين؟!

فإن قال: سألزمه بذلك كما ألزمك به، قلنا: إن التزم هو بذلك، فلن نلتزم نحن به؛ لأن ذلك ليس بلازم لنا، وإنما نلتزم برد الباطل على أهله وعلى صاحبه كائنًا من كان، ما دام قد نشر باطله على الملأ، نصحًا لعباد الله، وتحذيرًا لهم من هذا الباطل، ونصحًا لهذا المبطل، وإن غضب مِن نشْرنا الرد على باطله على الملأ، فالدين ليس بالأهواء، وإنما يجب صيانة الدين، ويجب الذب عن شرع الله-عز وجل- بكل وسيلة مشروعة.

**فإن قال:** إن مخالفكم لم يعين اسمكم، فوجب عليكم ألا تعينوا اسمه.

**فقل له:** إن من مخالفينا من لم يعين الاسم إلا أنه عين بالوصف الذي يتوصل به إلى الاسم. فالمؤدى واحد، والنتيجة واحدة.

ومنهم من عين بالاسم، وعلى كل فإننا نحن معشر أهل السنة-اضطررنا إلى تعيين الاسم، إمعانًا ومبالغة في النصح لعباد الله وتحذيرهم، وإمعانًا في إظهار حقيقة هؤلاء المخالفين أمام المغترين بهم، فكثير من الناس قد لا يتبادر إلى ذهنه أن هذا الرد يتعلق بشيخه الذي اغتر به وافتتن به، فيكون التصريح باسم هؤلاء المخالفين أدعى لتنزيل هؤلاء المغترين لذلك الرد على شيخهم الذي اغتروا به، ويكون التصريح بأسمائهم أبعد عن اللبس والإشكال في عقول المطلعين على هذا الرد أو تلك الردود، على أن منهم-كما سبق- من يعين خصومه من السلفيين بالاسم، ومنهم من يعينه بالوصف، فليسوا جميعًا لا يصرحون بأسماء مخالفيهم وعلى كل فإذا استوجبت النصيحة ذكر اسم المخالف المردود عليه، وجب ذلك دفعًا لأي إيهام أو إشكال أو لبس أو غير ذلك.

وقد قال النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-:"الدين النصيحة" ومن النصيحة التحذير من الباطل وأهله، فإذا استوجب المقام ذكر اسم من وجب التحذير منه، وجب ذكر اسمه، قياما بواجب النصيحة والتحذير من الباطل وأهله، وإلا فعدم تعيين الاسم-والشأن ما ذكر- ينافي النصيحة الواجبة والتحذير الواجب، أو ينافي كمال ذلك الواجب. وكمال الواجب واجب.

**فإن قال:** وهل كان السلف يحذرون من أصحاب الأهواء بتعيين أسمائهم، ولا يلتزمون بأن يكلموا كل مبطل فيما بينهم وبينه؟

**فقل له:** أجل! كان السلف-رضي الله عنهم- ومن تبعهم بإحسان إلى يومنا هذا يحذرون من أهل الأهواء، ويعينون أسماءهم.

وكتب الجرح والتعديل وكتب السنة وكتب الفرق مشحونة بذلك، فإن عَمِيتَ عن هذا كله فاعلم أنك لست أهلاً لأن تناقش في العلم؛ لأن هذا يعرفه صغار طلبة العلم.

ثم إن عجزت عن الوقوف على ذلك أو شيء منه، فتعال حتى أوقفك على ما يبرهن على صدق ما أخبرتك به، من جريان عمل السلف ومن تبعهم على ذكر أسماء أهل الأهواء، تحذيرًا منهم ومن أهوائهم، وليس من شرط جريان عمل السلف ومن تبعهم على هذا أن يذكروا اسم كل مبتدع أو صاحب بدعة، فهم يذكرون رؤوسهم وأئمتهم، ومن اقتضى المقام ذكر اسمه، أما الإتيان على ذكر أسماء كل أتباع جميع رؤوس الفرق، فإن هذا أمر يعسر أو يستحيل عادة، وإنما التركيز والتأكيد على ذكر أسماء أرباب البدع، وتابعوهم يلحقون بهم في ذلك جملة، وبمثل هذا يتحقق التحذير من البدع وأهلها، على أن عدم ذكر أسماء التابعيين لهؤلاء الرءوس لا يلزم منه عدم معرفة أهل السنة لأعيان هؤلاء التابعين المفتونين، فما من قرية أو مدينة يعرف فيها أهل السنة أهل البدعة إلا وجدت تحذير أهل السنة من جميع أصحاب البدع بأعيانهم وأسمائهم، لكن لا يلزم من تلك المعرفة وذاك التحذير أن تجد أسماء كل هؤلاء التابعين الضلال مذكورين بأعيانهم وأسمائهم في الكتب التي ترد على المبتدعة، وإهمال ذكر أهل الأهواء بعدم ذكر أسمائهم أمر مطلوب، ما لم يضطر أهل السنة إلى ذلك التعيين، الذي فيه إشاعة سوء ذكر المبتدع المعين.

ثم إن السلف لم يكونوا يلتزمون بالذهاب إلى أهل الأهواء في بيوتهم لينصحوهم أو ليحذروهم من الأهواء، فابن عمر-رضي الله عنهما- لما أخبر بالقدرية الذين يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أُنُفٌ. قال: «فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن أحدهم أنفق مثل أحد ذهبًا ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر»

فلم يلتزم هو-رضي الله عنه- ولا غيره من السلف ومن تبعهم بهذا، ومن ألزم بذلك فقد ألزم بما لا يلزم، وابن عباس-رضي الله عنهما- لما قيل له: إن نوفًا البِكالي يزعم أن موسى الخضر ليس بموسى بني إسرائيل قال: «كذب عدو الله»

ولم يلتزم هو-أيضًا-رضي الله عنه- بهذا الإلزام الذي لا يلزم، والذي فيه تكميم لأفواه أهل السنة عن الذب عن الدين، ورد الباطل على أهله، وإلا، فأخبرني من هذا الذي يطيق أن يذهب إلى كل مخالف- وما أكثر المخالفين!!- في بيته ليبين له خطأه، ويحذره منه؟! إن هذا تكليف بما لا يطاق. وقد قال-تعالى-:

{ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴿٢٨٦﴾ } وهذا الإلزام-إن صح أن يكون إلزامًا- ليس في وسع أحد أن يلتزم به، فهذا مما يدل على فساد هذا الإلزام وأنه لا يلزم وإذا كان هذا الإلزام ليس في وسع أحد أن يلتزم به في هذا العصر الذي سهلت فيه الاتصالات وكثرت أنواعها، فكيف يكون هذا الإلزام لازمًا للسلف ومن تبعهم في العصور السابقة والقرون الخالية الفاصلة التي تباعدت فيها الأقطار من المشرق إلى المغرب-كما هو الشأن اليوم- وفي الوقت نفسه كانت وسائل النقل والركوب والاتصالات والسفر أبطأ من وسائل عصرنا بكثير؟!

أليس في الإلزام بمثل هذا تفويت مصلحة الذب عن الدين، والتحذير من البدع والأهواء والمنكرات ومن أهلها، وإعانة على فشو تلك الأمور ونموها وانتشارها، بما يحقق الفساد والإفساد العريضين في الأرض، خصوصًا إفساد دين الناس؟!

ومن أراد الزيادة من الأمثلة من عدم التزام السلف ومن تبعهم بهذا الإلزام فليرجع إلى مظان ذلك في المصنفات في ذلك يجد أن أهل السنة لا يلتزمون بذلك، بل يجد أهل البدعة لا يلتزمون بذلك، فتجد المبتدعة يردون على المبتدعة وعلى أهل السنة، ولا تجدهم يلتزمون بذلك.

فكيف ترك هؤلاء المعاصرون أنفسهم فريسة للشيطان، وألعوبة له، بحيث يلزمون غيرهم بما هو باطل في نفسه، وبما لا يلتزمون هم به أصلاً؟!

ولا شك في أن مثل هذه الإلزامات أو الأصول مما تُفَرِح الشيطان وأولياء الشيطان، وتغضب الرحمَن وأولياءَ الرحمن.

وإذا كان هذا المذهب بإطلاقه لا يجب في حق أهل الأخطاء، ولو كانوا من أهل السنة. فما الظن إذا كان الخطأ صادرًا من أهل الأهواء الذين حذر السلف من مناظرتهم ومجادلتهم ومجالستهم، وأمرنا رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بالحذر منهم؟!

فالحذر منهم لا يدل على مجالستهم ومخالطتهم ومناظرتهم، وإنما يدل على خلاف ذلك من مجانبتهم والبعد عنهم والتحذير منهم.

ورسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- الذي أمر بالحذر من أهل الأهواء أعلم الناس بربه وبشرعه، وبما يصلح الناس، وبما يفسدهم.

فقد يذهب الرجل إلى واحد من أهل الأهواء ليناقشه ويناظره فيرجع محملاً بالشبهات المنقدحة في قلبه، فيزيغ بعد الهدى، جزاء مخالفته لأمر رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بالحذر منهم، فليحذر السلفيون من مناظرة أهل الأهواء، وليسيروا على طريق سلفهم، فليسوا أعلم بدين الله، وبما يصلح العباد، ويفسدهم، من رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-وقد قال الله-تعالى-:

{ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ ﴿١٤٠﴾ } ؟!

وليتق الله أقوام يوجبون على عباد الله ما لا يجب عليهم بشرع الله، وإذا كان المبتدع عند أصحابه وأتباعه سلفيًا، فهذا لا يخول للسلفي مناظرته وهو يعتقد أنه مبتدع، فلا يدع اعتقاده لاعتقاد غيره؛ لأنه بذلك يكون مقلدًا لغيره في الباطل، بما يخرجه هو نفسه عن عداد أهل العلم. إذ إن المقلد ليس معدودًا من أهل العلم إجماعًا، كما في جامع بيان العلم وفضله

لابن عبد البر-رحمه الله- أما إذا اضطر العالم إلى مناظرة إمام من أئمة الضلال أو رأس من رؤوس أهل البدع فليكن ذلك بحضرة سلطان أو من يُنِيبُه السلطان أو الوالي.

هذا حاصل كلام الإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري-رحمه الله- في كتاب الشريعة له، فالضرورة لها أحكامها، والضرورة تقدر بقدرها.

وبناءً على ما سبق فإن أهل السنة يردون على أهل الضلال ضلالهم من غير أن يوجبوا على أنفسهم أو أن يوجب عليهم غيرهم الذهاب إلى أهل الأهواء لمناظرتهم.

**فإن قال:** فإن احتاج أو اضطر العالم إلى مناظرة أهل الأهواء، ولم يتيسر ذلك بحضرة سلطان أو من ينيبه، خاصة مع عدم قيام دليل ظاهر فضلاً عن نص قطعي في اشتراط أن يكون ذلك بحضرة سلطان أو من ينوب عنه-أيجوز له ذلك أم لا؟

**فقل له:** الذي يظهر من ذكر الإمام الآجري لقيد أن يكون ذلك بحضرة سلطان أومن ينيبه هو أن السلطان أو من ينيبه لديه القدرة على ضبط سير المناظرة، وإلزام من حُوجِجَ فَحُجَّ، وخوصم فَخُصِم، أن يلزمه بالعود والرجوع عن مذهبه، وإلا رتب على عدم العود العقوبة المناسبة له؛ لأنه ليس بعد تلك المناظرة والمحاجة ولزوم الحجة إلا العناد والمكابرة، فإن كان العالم على ثقة من علمه وحجته في مناظرته لخصمه واحتاج أو اضطر إلى مناظرته بغير حضرة سلطان، ورجا من ذلك المصلحة، فالذي يظهر جواز ذلك-والشأن ما ذكر- وقد قال-تعالى-: {وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ

{﴿١٢٥﴾}

وقال: {وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴿٤٦﴾}

ولكن أين هو ذاك العالم الذي هو بهذه المثابة؟

**الجواب:** لا تخلو الدنيا من مثل هذا القائم لله بالحجة بمناظرة أو بغيرها، ولكن مثل هذا قليل. فكن على حذر-رحمك الله- من أهل الأهواء.

**فإن قال:** فهل تجوز مناظرة الكافر؟

**فقل له:** لا تجوز إلا من العالم البصير بالحجة وبدين الله-سبحانه وتعالى- وبالمناظرات وبالشبهات ومواقع الرد عليها إن اضطر العالم إلى ذلك أو احتاج إلى ذلك -أيضًا- وإلا، فالأصل الحذر من مناظرة الكافرين الذين يتبعون ما تشابه من كتاب الله-عز وجل-، فقول النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-:"فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم" يعم كل متبع للمتشابه من كتاب الله سواء"كان مسلمًا مبتدعًا أو كان كافرًا.

فربما انقدحت شبهة الكافر المتبع للمتشابه من كتاب الله الذي يُحاجُّ المسلم بهذا المتشابه، ربما انقدحت شبهته في قلب المسلم فعاد مرتدًا عن الإسلام والعياذ بالله.

فإذا عُلم أن مناظرة المبتدع قد تجر مناظره إلى البدعة وتوقعه فيها، وأن مناظرة الكافر قد تجر مناظره إلى الكفر وتوقعه فيه، وجب الحذر من مثل تلك المناظرات، وإنما الواجب هو الدعوة إلى السنة والحذر من البدعة، ورد ما أمكن رده من شبهات أهل البدعة مع البعد عن مناظرتهم، والواجب-أيضًا هو الدعوة إلى الإسلام والحذر من الكفر، ورد ما أمكن رده من شبهات أهل الكفر مع الحذر من مناظرتهم، وإذا كان مناظر أهل الأهواء، وأهل الكفر الذين يتبعون ما تشابه من كتاب الله، قد يتردد بين البدعة والكفر وجب الحذر من هذه المناظرات والتحذير من أصحابها من المبتدعة والكفرة الداعين إلى مثل تلك المناظرات ابتغاء الفتنة وإيقاع المسلمين وأهل السنة فيما يحذرون، وفيما منه يفرون.

إذا علم هذا فإنه يجب الحذر من المواقع التي على شبكة الاتصال العالمية، الشبكة العنكبوتية (الانترنت) تلك التي تطعن في الإسلام وأهله، وتلقي بالشبهات، كما يجب التحذير منها، ومن غيرها من الشباك والفخاخ التي ينصبها أعداء الإسلام لضعاف أهل الإسلام، واصطيادهم وإيقاعهم فيما هم عليه من الكفر، فتقع الردة عن الإسلام-عياذًا بالله-.

**فإن قال:** أليس من يتبع المتشابه من كتاب الله أحق ممن لا يتبع المحكم ولا المتشابه.

**فقل له:** إن الذي لا يتبع المحكم ولا المتشابه أمره جلي، وما به خفاء ولا لبس، بخلاف من يتبع المتشابه من كتاب الله، فهو-أعني المتشابه- وإن كان من كتاب الله، إلا أنه لا يجوز اتباعُه وتركُ المحكم منه، وقد أمرنا رسول الله-صلى الله عليه وعى آله وسلم- بالحذر ممن هذا شأنه من اتباع المتشابه فما علينا إلا الامتثال لهذا الأمر، والحذر ممن كان هذا وصفه وشأنه، وقد أخبرنا ربنا-عز وجل- أن الذين في قلوبهم زيغ هم الذين يتبعون ما تشابه من الكتاب، لا لابتغاء الهدى والسداد والرشاد، وإنما يتبعونه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله على غير تأويله الذي يوافق المحكم من كتاب الله.

أما أهل العلم فإنهم يؤمنون بالمحكم والمتشابه، ولا يحكمون بالمتشابه على المحكم، وإنما يردون المتشابه إلى المحكم. قال-عز وجل-:

{ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ }

فمن كفر بمحكمه ومتشابهه فهو كافر، ومن اتبع متشابه وكفر بمحكمه فهو كافر، ومن اتبع محكمه وكفر بمتشابهه فهو كافر، ومن آمن بمحكمه ومتشابهه، ورد متشابهه إلى محكمه، فهو المؤمن الراسخ في العلم.

وأما من اتبع المتشابه، ولم يكذب بالمحكم، ولم يكفر به، فإنه يدور بين البدعة والكفر وأحلاهما مُر.

ويكون عند صاحب هذا المذهب ألا وهو اتباع المتشابه من التلبيس والتضليل والإيهام ما ليس عند الكافر الصريح بكفره، والذي كفر بمحكمه ومتشابهه. ذلك؛ لأن أكثر الناس يغترون بذكر هذا الزائغ للآية بعد الآية من كتاب الله في حين كونه يُنَزِّل كلام الله على غير تنزيله، ويُنَزِّل آياته على غير تنزيلها، فَيَضلُّ، ويُضِلّ.

لكن الجهال يقولون: إنه يستدل بكتاب الله، ويقولون: أليست هذه آيات من كتاب الله؟!! إلى غير ذلك من علامات ودلائل الاغترار، وكلٌّ مفتون -والعياذ بالله- فاللهم اعصمنا.

أيليق بمسلم بعد هذا كله أن يُهَوِّن من خطر أهل الأهواء؟! أو أن يقول: إن التحذير منهم يؤدي إلى الفتنة؟! أو أن يترك الصدع بالحق؟!أو يترك جهاد أهل الأهواء، أو يخاف لومة لائم؟! أمَا إنه لا يليق بمسلم فضلاً عمن ينتسب إلى السنة، أو يدعي السير على مذهب السلف.

ومما سبق يعلم أن مذهب السلف براء ممن كان هذا حاله أو مقاله.

**فإن قال:** فإذا كنت تحمل على أهل الأهواء حملة شديدة وتنكل بهم، فهل أنت معصوم في شأنك كله؟

**فقل لـه:** معاذ الله أن أدعي لنفسي ما ليس لي كالعصمة أو غيرها، فكل بنو آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، ولكن متى وقع منا شيء من ذلك، واستبان لنا الحق رجعنا إليه، ولا نصر على باطل دائمًا أبدًا -إن شاء الله-كما هو شأن أهل الباطل والضلال والعناد، ولسنا -ولله الحمد- ممن لا يعترف بتقصيره أو بخطئه، -والمعصوم من عصم الله- وإنما الشأن كل الشأن فيمن يخالف أصول أهل السنة أو منهجهم، أو يخالف بعض أصولهم، وهو مع هذا يتمادى في غيه، ويصر على باطله، مع إيضاح أهل العلم وتبيانهم لبطلان تلك الأصول أو المناهج المخالفة لمذهب السلف، وليته وقف عند هذا الحد من الضلال، ولكنه ينافح عن باطله بباطل آخر، وهو في الوقت نفسه ينصب العداء للمنهج السلفي ولأصوله، ولحملته ولأهل العلم الذين بينوا ضلال ما هو عليه، وهو في الوقت نفسه يجمع الناس حوله، ويحزبهم على خلاف مذهب السلف، وعلى خلاف الحق، وبلا علم ولا هدى ولا كتاب منير.

فهل يستوي من هذا حاله مع من يحاكم غيره إلى مذهب معصوم لا إلى نفسه، وهو مع هذا إذا ند منه شيء لا يصر عليه، ولا يدافع عن باطل بكذب وتلبيس، ولا يحزب الناس على باطل، وهو مع ذلك لا يرى عدم رد باطله عليه إن وقف غيره منه على باطل؛ لأن صون دينه مقدم عنده على صون عرضه، خاصة إذا كان ذلك الباطل متعديًا إلى الآخرين.

والشأن، أن يرد الرادُّ بعلم، وأن يرد باطلاً. أما أن يرد بجهل، أو يرى الحق باطلاً، فيرد عليه بباطل، جامعًا بين شرين أو شرور، فهذه هي الطامة التي لا تجوز.

وفرق بين من يخالف أصول أهل السنة ومنهجهم بحيث يصير بذلك من أهل الأهواء الضالين الزائغين، وبين من يقع منه شيء أو أشياء وهو في ذلك لا يصر ولا يستنكف عن الرجوع إلى الحق، وإنما شأنه الاستغفار والتوبة والدعاء، ولقد كان من دعاء النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-:

((**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جديِ وهزلي وخطئيِ وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت أو لا إله غيرك**)) أو كما في الحديث

فكيف بعد ذلك نبرئ أنفسنا من الخطأ والزلل الذي لا يسلم أو لا يكاد يسلم منه أحد-والمعصومُ من عصم اللهُ- وقد قال أبو بكر-رضي الله عنه- للنبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-:« علمني دعاء أدعو به في صلاتي» فقال:

((قل:**اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا –أو كبيرًا– ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**)) وأين نحن من أبي بكر، ومع عظيم منزلته علمه النبي ذلك الدعاء فهل صار أبو بكر الصديق بظلمه الكثير هذا المذكور في الحديث مبتدعًا زائغًا صاحب هوى كشأن أهل الأهواء الذين خالفوا أهل السنة في أصول اعتقادهم ومنهجهم؟! حاشا وكلا. فلا يتذرعن متذرع بمثل هذا الذي لا يسلم أو لا يكاد يسلم منه بشر للثبات على المخالفة والضلالة والبدعة ومخالفة أهل السنة في عقائدهم أو شيء منها، أو في منهجهم، وهل يُسَوِّي بين الفريقين إلا من يسوِّي بين الماء والنار، والبعر والتمر، والشحم والورم؟! فإذا كان فساد هذا معلومًا في بدائه العقول، بالاضطرار، فكذلك من يسوي بين أهل السنة وأهل البدعة، وبين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وقد قال–تعالى–:

{ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴿٩﴾ } أي لا يستوون.

ومعلوم أن هؤلاء الذين يعلمون ليس من شرط وصفهم بالعلم، وصفهم بعدم الذنب أو المخالفة أبدًا، وليس من شرط وصفهم بذلك العصمة من ذلك، وقال–تعالى–: { أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ }

ومعلوم أنه ليس من شرط كون العبد مؤمنًا أن يكون معصومًا من الذنب والخطأ، وإلا لزم من ذلك أن رسول الله–صلى الله عليه وعلى آله وسلم– لم يكن من المؤمنين، فضلاً عن أبي بكر–رضي الله عنه– فضلاً عن غيرهم من أتباعهم إلى يومنا هذا وبعد يومنا هذا، ولا يخفى أن هذا اللازم معلوم الفساد بالاضطرار من دين الله–سبحانه– مما يدل على فساد الملزوم، مع العلم بأن ذنب النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– ليس كذنب غيره ومع العلم –أيضًا– بأن النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– معصوم في باب الرسالة والتبليغ، فلا خطأ في باب الرسالة أبدًا ولا اختلاف فيها أبدًا، ومثل هذا الموضع يحتمل البسط أكثر من ذلك، وإنما الأمر كما قال الله–تعالى– عن الفريقين: { إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ }

وقال قبل ذلك: { وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ }

وقال سبحانه في وصف المتقين:

{ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ

وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ {

وقال بشأن بعض الصحابة:

{إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٥٥﴾ }

وقال: {وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَابَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا ...﴿١٥٤﴾ } الآية.

إلى غير ذلك مما يدل على أن أولياء الله المؤمنين المتقين ليسوا معصومين من الخطأ والزلل والمعاصي والذنوب، وإنما شأنهم التوبة بعد الذنب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، بل قد يكون الواحد منهم بعد توبته من الذنب أقوى إيمانًا منه قبل وقوعه في الذنب وقد قال الله تعالى في حق آدم {وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى} ، كما ذكر نحوَ ذلك ابن القيم-رحمه الله- تعالى-.

إذا علم هذا ففرق بين الذنوب والمعاصي التي يقع فيها المؤمن ويتوب منها، وبين البدعة التي يصر عليها صاحبها، مخالفًا في ذلك عقيدة السلف الصالح أو منهجهم.

فمعلوم أن البدعة شر من المعصية، وإن لم يتب من تلك المعصية صاحبها، فكيف إذا تاب العاصي من معصيته، وأصر المبتدع وصاحب الهوى على بدعته وهواه؟! إن أمره يكون-والشأن ما ذكر- أدهى وأمر، ويقال- من باب الشيء بالشيء

يذكر-: ولو فرض أن رادَّ الخطأ والضلال على صاحبه كان مجاوزًا للحد في عبارته التي رد بها، لما كان للمردود عليه أن يُسَوِّغ بقاءه على خطئه وضلاله لخطأ الرادِّ بمجاوزته الحد في عبارته، إذ الواجب عليه أن يقبل الحق الذي في كلام الرادّ، ولا يجوز له أن تمنعه شدة الرادِّ-والتي جاوز فيها الحد- من قبول الحق الذي في كلامه، ولا يجوز له الثبات على الباطل لوجود باطل في كلام الراد-لو وُجد فيه باطل- بل يجب عليه أن يقبل الحق، ويرد الباطل عليه-إن وجد- فكيف إذا كان الرادّ لعله ترفق بالمردود عليه، ولم يشتد عليه الشدة المناسبة لخطئه وضلاله؟! أيجوز-والشأن ما ذكر- أن يصر على ضلاله وباطله بدعوى أنه -أعني الرادّ- اشتد عليه شدة ما؟! إن هذا-حقًا- صنيع أهل الأهواء الذين لا يرعوون ولا ينزجرون وإنما يتبعون أهواءهم، ويتمادون في غيهم وضلالهم ضاربين صفحًا عن انتقاد أهل العلم المبني على العلم والعدل.

إنه-والله- ليُتعجب ممن يدعي قبول الحق من أي أحد، ثم إذا انتقده أهل العلم والذكر والاختصاص، لا يرفع رأسًا لردهم وانتقادهم، وإذا بدعواه تطيش وتذهب أدراج الرياح!! أليس كل هذا مما يؤكد أن مثل هذا المخالف الذي رد عليه أهل العلم متبعًا لهواه في أول أمره وفي آخره.؟!

إن شأن السني السلفي أنه إذا وقع في بدعة ما فإنه سرعان ما يفيء إلى الحق والسنة، إذا بين له أهل العلم، إلا أن يكون من أهل الاجتهاد، الذين هم أهل الاجتهاد، فإنه في هذه الحالة قد لا يسعه العود عن خطئه-وهو في هذا مخطئ معذور مأجور أجرًا واحدًا على اجتهاده، ولكن-في الوقت نفسه لا يجوز أن يتابع على خطئه، ولا أن يُرَوَّجَ لهذا الخطأ، وإنما الواجب هو الحذر من خطئه، والتحذير من ذلك الخطأ، بخلاف أهل الأخطاء والأهواء الذين يدورون بين الجهل والتقليد والعناد، فإن هؤلاء يدورون بين أمور أحلاها مر، أما الجاهل فكفى بالجهل ذمًا له، وأما المقلدة والمعاندون الذين ركنوا إلى الجهل والتقليد والعناد فإنهم مَوْزورون غير مأجورين، وملومون مؤاخذون على سلوكهم تلك المسالك من الركون إلى الجهل والتقليد والعناد إذ قد رضوا بذلك واطمأنوا به، ولم يرفعوا لكلام أهل العلم فيهم رأسًا، ولم يأبهوا به ولا بهم، وهم في الوقت نفسه يخالفون أصولاً من أصول أهل السنة، أو منهجهم الذي هو أوضح من ضوء الشمس في رائعة النهار.

أضف إلى هذا الوضوح كلام أهل العلم المبين لتلك الأصول ولذلك المنهج، بما يزيده وضوحًا إلى وضوح، وبيانًا إلى بيان. ومع ذلك لا يقيمون لدندنة أهل العلم حول بيان أصول أهل السنة وبيان معتقداتهم ومنهجهم، لا يقيمون لتلك الدندنة ولا لذلك البيان وزنًا.

أبعد ذلك يقال: إن أهل السنة أشداء على المخالف، يعيبونهم بذلك؟!

إن مثل هذا المخالف-والشأن ما ذكر- هو المعيب، وإنه ليستحق أن يشتد عليه أهل السنة أكثر وأكثر لتماديه في ضلاله وغيه، وعناده، وتسويغه لخطئه وضلاله بما لا يجوز أن يكون مُسَوِّغًا، وأن يعلنوا النكير عليه لخصومته وعداوته لأهل العلم الأمناء الناصحين، ففرق بين خطأ وخطأ، وهوى وهوى وإن كانت الأخطاء كلها مردودة، والأهواء كلها مذمومة ومردودة على صاحبها كائنًا من كان.

إنه بمثل هذا البيان والتفصيل السابق وغيره يُعْرف أنه لا يستوي من كان على جادة مذهب السلف، وحاد شيئًا قليلاً ثم عاد إلى جادة المذهب عودًا حثيثًا، ومن إذا ذُكِّر ذَكَرَ، وإذا نُبِّه انتبه، وإذا زل أو أخطأ فبين له زَلَلُه أو خطأه عاد عن زَلَلِه وخطئه عودًا حميدًا، وتاب وأناب وشكر من نبهه على خطئه وزَلَلِه، ومن بين له حقيقة ذلك.

**أقول:** إنه بمثل البيان والتفصيل السابق وغيره، يُعْرف-أو يعرف اللبيب- أنه لا يستوي من كان هذا شأنه، ومن كان من أول أمره على غير جادة مذهب السلف، ومن إذا ذُكِّر لم يتذكر، وإذا نبه لم يتنبه، وتمادى في غيه وامتطى صهوة الباطل، وركب متن الزلل والخطل عمدًا، على رغم أنوف أهل العلم، الذين شمروا عن ساعد الجد في البيان له، وجدوا واجتهدوا، وسهروا وأتعبوا أنفسهم وأضنوها من أجل إزاحة ستار الشبهة عنه، وإزالة برقع الباطل عن وجهه، إذ قد أعماه عن رؤية الحق.

وإذا كان الله-عز وجل- قد قال في المنافقين:

{أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾}

**ألا يقال في أمثال هؤلاء المعاندين المتبعين لأهوائهم:**

إن لهم نصيبًا كبيرًا وحظًا وافرًا من مثل هذه الآية، إذ إن من هؤلاء من يقع في الفتنة مرة أو مرتين أو أكثر، ويزيح عنهم أهل العلم الإشكال فيها، ويكشفون عن وجه الحق فيها، ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون؟!

أليس لهؤلاء نصيب من النفاق عمليًا كان أو اعتقاديًا؟!

فكيف يستوي أشباه هؤلاء المنافقين، مع أهل العلم والإيمان والأتباع للمنهج السلفي؟!

إن هؤلاء الناكبين عن الحق، لو كانوا في أول أمرهم على جادة مذهب السلف، ثم زلت أقدامهم، ولم يعودوا إلى الحق بعد بيان أهل العلم لهم ونصحهم وتحذيرهم، لما جاز أن يكونوا بعد تلك الارتكاسة والانتكاسة سلفيين، وإنما هم لهم نصيب من قوله-تعالى-:

{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾}

وإن لم يخرجهم هذا النصيب من تلك الآية عن الإسلام، وكذلك فإن لهؤلاء نصيبًا من مثل قوله-تعالى-:

{ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥ } وإن لم يخرجهم هذا النصيب-أيضًا- من الإسلام.

فمن سوى بين الضدين أو النقيضين فقد نادى على نفسه بذهاب عقله وفرط غباوته وجهله، وخبث مذهبه، وسوء طويته، والله المستعان.

**فإن قال:** إن السلفيين قد اهتموا في هذا العصر بالرد على المخالف اهتمامًا بالغًا وأكدوا على ذلك، في حين أنا لا نجد مثل هذا الاهتمام وهذا التأكيد في سائر أبواب العلم.

**فقل له:** كشْف حقيقة الأمر في هذا مما يطول، وإنا سنحاول إيجاز الأمر بما يأتي على المقاصد المطلوبة، ويدفع الإشكال فنقول-وبالله التوفيق-:

إن الرد على المخالف من أعظم أبواب العلم والدين، ولا يوجد باب من أبوابه، أو لا يكاد يوجد باب من أبوابه-إلا وفيه طائفة مخالفة للحق فيه، مما يستوجب الرد عليه، وبيان وجه الحق من الباطل، ووجه الصواب من الخطأ، حتى لا يلتبس شيء من أمر الدين على أحد.

وإذا كان السلفيون يردون على كل مخالف، إذن، فهم يتكلمون في جميع أبواب الدين.

ولا شك أنه يجب تقديم الأولى فالأولى. والأهم فالأهم، إن لم يكن الجمع بين الأمور، ولا شك في أن المخالفة إذا كانت تتعلق بأصول أهل السنة ومعتقدهم ومنهجهم، فإنها تكون عظيمة حينئذ، وحينئذ يجب أن تُولَى اهتمامًا كبيرًا من أهل العلم بالنقد والرد والنقض؛ لأن بقاء تلك المخالفات العظيمة تعود على منهج أهل السنة وأصولهم ومعتقدهم بالطعن.

وإذا تم الطعن في منهج أهل السنة ومعتقدهم وأصولهم، فماذا بقي لأهل السنة؟!

ولما كثر أهل الأهواء، وكثر كذبهم وتحريفهم وإلحادهم في أبواب كثيرة من معتقد أهل السنة وأصولهم ومنهجهم، شد العلماء النكير عليهم في كل اتجاه ومن كل جانب، حتى يبقى منهج أهل السنة سليمًا من الطعن، وحتى لا يغتر المغترون بتلك البدع والأهواء، وهم باغترارهم هذا يضيفون إلى الطعنِ في أصول أهل السنة والطعنِ في اعتقادهم ومنهجهم يضيفون الطعنَ في حملة تلك الأصول وذلك الاعتقاد والمنهج، وهذا هو واقعهم قديمًا وحديثًا، فتجدهم ينبزون أهل السنة بشتى الألقاب السيئة التي لا يستحقها أهل السنة، وإنما يستحقها خصوم أهل السنة، وأهل السنة إذ أولوا الرد على المخالفات في باب الاعتقاد والمنهج عناية عظيمة، فإنهم لم يكونوا بمعزل عن الردود على المخالفات في أي باب كان. وإنما لكل مقام مقال، وكل مقام بحسبه.

وأهل السنة إذ يردون على المخالف في باب الاعتقاد والمنهج-يعلمون أن الاعتقاد يدخل في كل قول أو عمل، فأي قول أو عمل فإن صاحبه لا يتكلم به أو لا يعمل به إلا بناءً على اعتقاد عنده، وإنما المقصود بذكر اهتمام أهل السنة هنا بباب الاعتقاد الاهتمام بأصول اعتقاد أهل السنة-رحمهم الله-تعالى- وإن كان هذا لا ينفي عنهم اهتمامهم بسائر أبواب الدين والشرع، ولكن من المعلوم أن الشرع فيه الأولى فالأولى، والأهم فالأهم، ولا شك أنه إذا أمكن الجمع بين الأولى

والأهم والمهم، وجب الجمع، هذه هي قواعد الشريعة، وأهل السنة هم أدرى الناس بها، وهم أحرص الناس على العمل بما يعلمون، وبما يعتقدون، وكون الاعتقاد يشمل الأقوال والأعمال، وأنه يدخل فيه الأقوال والأعمال، وأنه يسبق كل قول وعمل، وأنه أعم من أن يقيد بقول معين أو عمل معين، أقول: كون الاعتقاد كذلك على هذا الوجه قد قال بنحوه الشيخ الألباني-رحمه الله- فيما أذكر. وهذا واضح ولا إشكال فيه، لكن من المعلوم أن الاعتقادات تتفاوت في الأهمية والدرجة والرتبة، وكذلك الأقوال، وكذلك الأعمال، وهذا بَيِّن-ولله الحمد-.

فلما كانت أصول اعتقاد أهل السنة وأصول منهجهم مقدمة على غيرها، كانت عناية أهل السنة بها أولى وأهم من العناية بغير ذلك، وإن كان أهل السنة هم أهل الصون والذب عن الشريعة كلها والدين كله في جميع الأبواب، ولكن تقديمهم للأولى فالأولى هو من فهمهم وفقههم في دين الله-سبحانه وتعالى-.

والأدلة على تقديم الأولى فالأولى، والأهم فالأهم، كثيرة لمن أراد الإكثار، ولو لم يكن من ذلك إلا حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- في بعث النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- معاذًا إلى اليمن، وأنه قال له: ((**إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، وإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**))

**أقول:** لو لم يكن إلا هذا الحديث المتفق على صحته في الدلالة على البدء بالأولى فالأول، لكفى به دليلاً، وقد سبق أن هذا التقديم مشروط بما إذا لم يمكن الجمع بين الأولى وما دونه، هذا ما يدل عليه العلم وكلام أهل العلم.

وإذا كان أهل السنة يولون باب المعتقد والمنهج والأصول اهتمامًا كبيرًا وعناية كبيرة تناسب قدر ذلك وأهميته، فإن لهم قَصَبَ السبق في شتى أنواع العلوم من حديث وتفسير وفقه وأصول فقه وغير ذلك، بل هم —وهم وحدهم- الذين إذا تكلموا في أي باب من أبواب العلم، فإن لهم القدح المعلى من الإصابة والتوفيق والسداد، وموافقة العقل والنقل، والنظر والأثر.

فهم أعلم الناس بدين الله، وهم أعقل الناس، فهم أعلم الناس بالمنقول وأدرى الناس بالمعقول.

وعلى هذا تدور كلمة أهل العلم قديمًا وحديثًا، لا أعلم مخالفًا من أهل العلم في ذلك، ولو لم يكن مما يدل على صحة ذلك إلا حديث الطائفة الناجية المنصورة، والتي فسرت فيه بأنهم أهل الحديث، الذين هم أعلم الناس بدين الله-سبحانه- وتعالى- لكفى به دليلاً.

فلا يزال أهل السنة أظهر الناس على كل من ناوأهم وخالفهم، وهذا كاف-وحده- في الدلالة على أنهم على الحق المبين. قال-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ((**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون" أو "وهم على ذلك**)) أو كما قال-صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فهم الظاهرون على غيرهم في باب الاعتقاد والقول والعمل. وهم الظاهرون على غيرهم في تفسير كلام الله-سبحانه- وفي حفظ كلام رسوله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وفهم معانيه، وهم الظاهرون على غيرهم في باب الفقه وأصوله. لم لا؟! وهم أهل الدليل الصحيح، والحجة النيرة المستمدة من الكتاب والسنة، وهم أعلم الناس بذلك.

فهم أبعد الناس عن مصادرة الأدلة الصحيحة بالآراء السقيمة والأقوال الواهية، فهم في باب الأصول الفقهية أوفق الطوائف للكتاب والسنة، وأتبع الناس للحديث والأثر، فما أبعدهم!! عن القواعد الباطلة، والأصول الفاسدة التي دونها المتكلمون، وأصحاب العقول الفاسدة، والآراء الكاسدة في كتبهم باسم الأصول، وما أبعدها!! عن أصول الحق، وأصول الكتاب والسنة.

أما في الاعتقاد والمنهج وأصول أهل السنة فلا يباريهم-أعني أهل السنة- في ذلك أحد؛ لأنهم يبنون اعتقادهم على أصول صحيحة، وقواعد سليمة، من كتاب الله ومن سنة رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فأهل السنة يستدلون ثم يعتقدون، بخلاف غيرهم الذين يبنون معتقداتهم أو بعضها على أحاديث ضعيفة أو أقوال شاذة، خالف بها أصحابها الكتاب والسنة وسبيل سلف الأمة، وخلفها الذين ساروا على سبيل الصحابة-رضي الله-تعالى- عنهم. فأمثال هؤلاء الخلوف يعتقدون ثم يستدلون، ومعلوم أن القواعد يستدل لها لا يستدل بها، أما في باب التوحيد، فلا يُسأل عن القوس إلا باريها، فهم —أعني أهل السنة- أسعد الناس بعلم التوحيد بأقسامه الثلاثة، من توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

فوحدوا الله رب العلمين حق توحيده، فلم يجعلوا له شريكًا في ربوبيته وخلقه، وتدبيره، وتصرفه، ولم يجعلوا له شريكًا في ألوهيته، فعبدوه وحده وعظموه حق تعظيمه؛ لأنه وحده المعبود بحق، وما سواه من المعبودات فمعبود بباطل، فلم يشركوا، وإنما أخلصوا العبادة له-سبحانه- ولم يجعلوا له شريكًا في أسمائه وصفاته وأفعاله، ونزهوه عما لا يليق به، وأثبتوا له من الأسماء والصفات ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فأثبتوا ما يليق بجلاله إثباتًا بلا تمثيل، ونزهوه عن النقائص والعيوب تنزيها بلا تعطيل، على حد قوله-تعالى-: {لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾}

فقواعدهم في هذا الباب وفي غيره قواعد صحيحة وسليمة، فلم يلحدوا في أسمائه وصفاته وأفعاله-سبحانه-قال-تعالى-:

{وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾}

وهم الذين يردون على الدُّهريين، وعلى المشركين من الصوفيين القبوريين، وعلى الملاحدة في باب أسمائه وصفاته- سبحانه- فمن ردوا عليه فهو المغلوب المقهور، ومن حاربهم فهو المذموم المدحور. لم لا ؟! وهم أحق من نصر دين الله،

وتوحيد الله، فاستحقوا النصر من الله فضلاً منه رحمة تحقيقًا لوعده الصدق إذ قال: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾}

وقد قال -عز من قائل-: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾}

فهم أحق من قام بشرط النصر، فنصرهم الله-عز وجل- على جميع خصومهم. قال-تعالى-:

{إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾}

فإن لم يكن أهل السنة والحديث أحق الناس بنصر دين الله، وأحق الناس بالقيام بشرط النصر، فلا أدري من أحق بذلك. فالقوم قواعدهم مستمدة من الكتاب والسنة، فقواعدهم صحيحة، وعقولهم رجيحة، ولا يعارضون الكتاب والسنة بقاعدة من القواعد التي لم تستمد منهما ولا من واحد منهما، وإنما هي وليدة نحت العقول الفاسدة فهم يعتقدون أن القواعد يستدل لها لا يستدل بها.-كما سبق-، فأعلوْا قدر الكتاب والسنة، فأعلى الله قدرهم، ورفعوا ذكر الكتاب والسنة فرفع الله ذكرهم. فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، ولا يخيب سالك طريقهم، وإنما الذل والصغار والشقاء على من خاصمهم وطعن فيهم وشذ عن سبيلهم، وإذا سألت عن اللغة ومعرفتهم بها وجدت أن الحق في ذلك لا يخرج عن لغتهم وسبيلهم فكم من متقعر في اللغة قد علوه بفصاحتهم، وأبانوا عن زَلَلِه وخطئه وتكلفه، وإن أردت مثالاً لذلك، فها هم المعتزلة كيف أنهم لما أرادوا أن يدخلوا إلى نفي صفات الله من باب اللفة وتحت مظلتها، وقف لهم أهل السنة الفصحاء البلغاء بالمرصاد، وأبانوا ضلالهم في فهم لغة العرب لغة القرآن الكريم، ولغة سنة خاتم النبيين، ووضعوا الأدلة في مواضعها، وأنزلوها منازلها، فلم يحرفوا، ولم يبدلوا، ولم يغيروا، ولم يتنطعوا، ولم يتحذلقوا، وإنما كشفوا عوار هؤلاء المتنطعين في باب اللغة، وأعلنوا أنهم جانبوا الصواب، وخالفوا السنة والكتاب، وأنهم حرفوا صفات الله تحريفًا تأباه لغة القرآن الكريم، الذي نزل بأبين عبارة، فنفوا عن القرآن والسنة تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وساروا على طريق الكتاب والسنة في البيان، فعباراتهم وألفاظهم قرآنية وسنية وعربية شرعية، لا تقعُّر فيها ولا تكلف؛ لأنهم يعلمون أن الفصاحة والبلاغة والبيان أن كل ذلك ليس بالتكلف، فإن التكلف ينافي البيان والبلاغة.

وقد جاء القرآن من عند الله ميسرًا، قال-تعالى-: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾}

وكان أفصح الناس وأبلغهم وأبينهم هو رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- الذي أوتي جوامع الكلم، والذي أمره ربه-عز وجل- بقوله: {قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾}

وقال-عز وجل-: {وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ۖ}

فمن تقعر في ألفاظه وتكلف وتنطع في ذلك لم يكن له إلى البيان التام سبيل، وليس بمثل هذا يفهم الناس عن الرسل، وليس بمثل هذا يهتدي الفاسق ويدخل الناس في دين الله أفواجًا، وليس بمثل هذا تقوم الحجة على العباد، لعدم فهم كلام المبَلِّغ والمرسَل إليهم-لو كان متكلفًا- في كلامه، وحاشا رسل الله أن يكون أحد منهم متكلفًا في ذلك، إذ إنه-لو كان كذلك-لعَسُر على الناس سبيل الفهم، ولنفروا من دين الله-عز وجل-

فما أيسر!! القرآن والسنة، وما أبعد!! أهل التعمق والتكلف والتنطع عن نهج الكتاب والسنة في البيان والتفسير والبلاغ، وكيف يكون هؤلاء المتنطعون المتعمقون المتحذلقون المتشدقون هداة وهم هلكى. ألم يقل النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-:"هلك المتنطعون" ثلاثًا؟! فالهالك كيف يهدي غيره؟! إن فاقد الشيء-لا يعطيه-. فما أسعد!! أهل السنة وأهل الحديث بموافقة الكتاب والسنة والسلف الصالح في البيان والدلالة والإرشاد والتبليغ عن رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بأفصح عبارة، وأبينها وأكملها بعده-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-!!-فلله درهم-.

فبان بذلك وبغيره أن أهل السنة هم المقدَّمون في كل باب من أبواب العلم والدين لا يسبقهم في ذلك أحد غيرهم، فلهم في كل علم قَصَبَ السبق والقدح المعلى بلا منازع، إلا أن تكون المنازعة من مكابر معاند أو حاقد حاسد.

فكيف يقال بعد هذا عن السلفيين وأهل السنة إنهم لم يهتموا بسائر أنواع العلوم-في هذا العصر- وإنما اهتموا بجرح المجروحين، وكان شغلهم الشاغل، أو نحو تلك العبارات التي تدل على جهل صاحبها بحال أهل السنة وشأنهم، أوعلى اتباع مثل هذا القائل لهواه وعناده وبغيه وظلمه؟! وما الضير في كون أهل السنة يؤكدون على علم ما، في وقت ما، لمصلحة اقتضت ذلك؟!

وهل هذا ينفي اهتمامهم وتأكيدهم البالِغَيْن على سائر العلوم وأبواب الدين؟!

ثم لو فرضنا أنه حصل تقصير من بعض أهل السنة في بعض أبواب العلم، فهل هذا التقصير يعود على جميعهم؟! ثم ما قيمة رجل نحْوي أو أصولي مثلاً، وهو جهمي أو أشعري أو صوفي قبوري أو رافضي أو مرجئ مثلاً، وهو في الوقت نفسه- مع زيغ قلبه وانحراف اعتقاده ومنهجه- يحارب أهل السنة واعتقادهم ومنهجه وأصولهم في ليله ونهاره؟! إن الذي يحارب أهل السنة وما هم عليه هو ضال زائغ منحرف عن جادة الطريق، متوَعَّد بالنار-والعياذ بالله- داخل في زمرة الثنتين والسبعين فرقة الهالكة، ما قيمة رجل هذا هو مآله وعاقبة أمره؟! نعوذ بالله من الحرمان من التوفيق ومن الخِذْلان، ونعوذ بالله من أن نرمي الناس بما ليس فيهم، كهؤلاء المفترين على أهل السنة الكاذبين عليهم، أولئك الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

إن أهل السنة يحذرون من القراءة في كتب أهل البدع من نحو وأصول وتفسير وفقه وحديث وغير ذلك من فنون العلم وأبوابه، ولا يأمنون في أخذ العلم قراءة أو سماعًا إلا من أهله، أهل السنة والجماعة. وإن قرأ أحدهم كتابًا لأهل الأهواء فإنه يقرؤه-إن كان بصيرًا بدين الإسلام وبشبه خصوم الإسلام وأعداء السنن من أهل الأهواء- فإنه يقرؤه للرد على ما فيه من الباطل، وللتحذير لما فيه من الشر، لا لأن عند أهل الأهواء والبدع وأعداء السنن من العلم ما ليس عند أهل السنة.

وإذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–قد قال ما معناه:

إن الرافضة أو قال: الشيعة لا ينفردون بشيء من الحق ليس هو عند أهل السنة.

**فأقول**: إن أهل السنة قد جمعوا الحق، وأما غيرهم فعندهم حق وباطل، وكون القارئ يقرأ كتابًا لأهل البدع فيجد فيه من العلم ما لم يكن وقف عليه في كتب أهل السنة، فهذا لا ينفي وجود هذا الحق والعلم الذي عند هذا المبتدع عند أهل السنة، وإنما أُتي هذا من قبل قصور باعه وقلة اطلاعه على كتب أهل السنة، فإن نفي العلم لا يستلزم العلم بالعدم، فكيف مع عدم النفي؟! وإذا تدبرت حقيقة هذه العبارة وجدتها منطبقة على أهل الأهواء، فهم الذين شغلوا أنفسهم بأهل السنة وبمحاربتهم، وكان أهل السنة هم شغلهم الشاغل، وكان منهج أهل السنة هو شغلهم الشاغل، بحيث إنهم يقعون في أهل السنة وفيما يحملونه من منهج واعتقاد.

وإن كتبوا –أعني أهل الأهواء– أو أَلَّفُوا فإن مدار ما يكتبونه على مخاصمة أهل السنة ومخاصمة علمائهم ومخاصمة منهجهم، فطعنهم في أهل السنة وفي منهجهم طعن باطل، فلا هم سلموا من الوقيعة في علماء السنة، وحملة المنهج السلفي، ولا هم سلموا من الطعن في منهج أهل السنة واعتقادهم، فلا هم كفوا عن أذاهم وشرهم، ولا هم نصروا المذهب السلفي وأهله، ولا هم نصروا السنة وأهلها ولقد عاد سهم بغيهم–ولله الحمد– في نحورهم، كفى الله السلفيين شرهم.

**ويقال–أيضًا–**: إن أهل السنة لن يكفوا–إن شاء الله– عن الطعن في أهل الأهواء ومناهجهم ما بقي منهم عرق ينبض أو عين تطرف، وهم لأهل الأهواء بالمرصاد، فليموتوا بغيظهم وبأهوائهم.

**ويقال لأهل السنة:**

لا يدعن أحكم ثغره الذي يحرس منه مذهب أهل السنة، ولا يدعن شيطانًا مريدًا من أهل الأهواء يتسلل إلى ذلك المذهب القويم ليفسد فيه أو لينال منه، ولْيدافع كل واحد منكم عن مذهب أهل السنة دفاعًا شديدًا حتى تردوا جيوش الباطل مدحورة لا منصورة، وكسيرة لا مجبورة–وجزاكم الله خيرًا على ما قمتم به من الذب والدفاع عن مذهب أهل السنة، وجزاكم خيرًا على ما أنتم عليه من جهاد أهل الأهواء، لا خلت منكم الديار يا أهل الجود والكرم، ويا أهل السخاء والشجاعة، ويا أهل المروءة والشهامة،

ويا أهل العلم والتقى، ويا أهل الصلاح والرشاد، ويا أهل السنة والجماعة، ويا أهل الصبر والاحتساب، إنكم–حفظكم الله– إن لم تكونوا أنتم الذين تذبون عن دينه كل دخيل وغريب وشاذ ومنكر فهل يذب عن دين الله الجهمي أو الأشعري أو الصوفي القبوري، أو الرافضي، أو الباطني القِرْمطي، أو الجهول الظلوم الغوي؟!

فيا زينة الأقطار، ويا حلية الأمصار، ويا أعمدة الحق، بكم نصر الله دينه ولا يزال، وبكم أعلى الله كلمته ولا يزال، وبكم دحر الله الباطل وأهله والبدعة وأهلها ولا يزال، وبكم رفع الله ألوية السنة ونكس ألوية البدعة ولا يزال، وبكم صار الناس فريقين: فريق أهل السنة والجماعة، وفريق أهل البدعة والشناعة، وبكم انطفأت نيران الفتن، ولا يزال الله يطفئ بكم نيران الفتن، والتي يشعلها أعداء السنن الذين لهم نصيب من قوله–تعالى–:

{كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤} 

أفيعاب-بعد ذلك- أهل السنة الذين شدوا وطأتهم على أهل الأهواء، صيانة لدين الله-عز وجل-، وصيانة للعباد، ونصحًا لهم من أن يغتروا بأباطيلهم وأوابدهم؟!

أيريد أهل الأهواء من أهل السنة أن يضعوا سيوف الجهاد للأهواء وأهلها عن عواتقهم، في حين أنهم يسلون سيوف البدعة وينقضون على أهل السنة؟! أما إنه لا يسع أهل السنة إلا مجاهدتهم والأخذ على أيديهم ما أمكنهم ذلك.

وليعلم أهل الأهواء أن كتابتهم وجيوشهم وجحافلهم -جحافل الباطل- لا تقوى على الوقوف أما أسنة أهل السنة وحججهم التي يقرعون بها باطلهم، فما من أصل فاسد يؤصلونه، أو قاعدة باطلة يقعدونها، ويعلم بها أهل السنة، إلا انقضوا عليها انقضاض الأسد على فريسته، فتخر صريعة، والحمد لله على نصر السنة وعز أهلها، وقمع البدعة وذل أهلها، ولو شئت لطولت الكلام جدًا في هذا المقام، ولكن حسبي ما نبهت به على ما وراءه من المقال، والحمد لله رب العالمين، وهو الكبير المتعال.

**فإن قال:** إنكم يا معشر السلفيين كلما اشتددتم على المخالفين، وشدَّدتم عليهم النكير، وانتقدتموهم، زادوا تشويهًا للدعوة السلفية، فكان عليكم أن تكفوا عن ذلك حتى يكفوا.

**فقل له:** قد كان رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- خيرًا منا، وكان بدعوته المشركين إلى التوحيد وإلى دين الإسلام، قد تسبب في تأليب المشركين عليه، فرموه هو وأصحابه الذين آمنوا به عن قوس واحدة، وآذوا رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بشتى سبل الإيذاء والسباب، ومع ذلك لم يمنعه ذلك-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- من الصدع بالحق، والدعوة إلى توحيد الله، وإلى دين الله. وكلما استمر في دعوته-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- اشتدوا في إيذائه، حتى جمع الله بينه وبين عدوه في بدر على غير ميعاد، فانتقم الله لنبيه، وهلك من هلك عن بينة وحيَّ من حي عن بينة، ولم يمنعه صدودهم عن دين الإسلام من المداومة على دعوتهم إليه، بل مجاهدتهم. قال-عز وجل-: {وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ٥٢}

وقال: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣}

وهكذا كان السلف-رضي الله عنهم- يرمون أهل الأهواء والبدع عن قوس واحدة، ولو اجتمع أهل الأهواء عليهم من كل حدب وصوب، كما كان الشأن في عهد الإمام أحمد-رحمه الله- وكيف أنه صدع بالحق مع كثرة المخالفين له، في فتنة خلق القرآن والتي كان قد تولى كبرها أحمد بن أبي دُؤاد القاضي المعتزلي، ومن وقع في هذه الفتنة من الخلفاء في عهد الإمام أحمد-رحمه الله-.

فلم يمنع الإمام أحمد كثرةُ خصومه من الصدع بالحق في زمن المحنة، والتصريح بأن القرآن كلام الله غير مخلوق.

كما هو مثبت ومدون في بطون كتب أهل العلم، الذين تناولوا ذلك، وكتبوا فيه، وهكذا صدع شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- بالحق، في زمن عز فيه الناصر للسنة، وكذلك تلميذه البار الإمام ابن القيم-رحمه الله-، وكذلك صدع شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي بدعوة التوحيد في زمن كثر فيه خصوم التوحيد وخصوم الداعي إلى التوحيد، فمكن الله-عز وجل- للإمام أحمد، ولقب بإمام أهل السنة، ومكن لشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وصارا إمامي هدى، ومكن لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب النجدي-وصار إمام التوحيد في زمانه، وبارك الله في علم هؤلاء جميعًا، ونفع بهم، وشأن السنة والإخلاص أن يبارك الله-عز وجل- في أهله وأهلها، وفي دعوتهم وجهودهم، ثم وَرِث هؤلاء الأئمةَ خلقٌ كثيرون من العلماء وطلبة العلم، ومن المحبين لدعوة التوحيد والمذهب السلفي، فمن هؤلاء العلماء الشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين، والشيخ الألباني، والشيخ مقبل بن هادي الوادعي، والشيخ أحمد بن يحيى النجمي، والشيخ ربيع بن هادي المدخلي، وقبلهم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وغيرهم، وساروا بسير علمائهم الأوائل، وإن خالفهم من خالفهم، فمكن الله لدعوتهم، وجعل في قلوب عباده المؤمنين محبة ومودة لهم، ورفع قدرهم، وأعلى ذكرهم، وجعلهم أئمة خير يدعون إلى الخير، ويهدون بالحق، وبه يعدلون.

ثم إن المشركين كانوا يودون من رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أن يدهن فيدهنوا. قال-تعالى-:

{ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٧ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٨ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ٩ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ } الآيات .

وتدبر نفى الله الجنون عنه في هذه الآيات، إذ كان مشركوا قريش يرمون رسول الله-صلى اله عليه وعلى آله وسلم- بالجنون، وهم في ذلك طاغون كاذبون. قال-تعالى-:

{كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾}

وتدبر نهي الله له عن أن يطيع المكذبين، الذين يودون أن يدهن فيدهنوا-وما أكثرهم حينئذ-!!

وتدبر نهيه إياه عن طاعة كل حلاف مهين موصوف بغير ذلك من أوصاف الذم، التي هي نص القرآن الكريم وصريحه.

وقال الله-عز وجل-: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾}

وقال: {مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ...﴿٢٩﴾} الآية.

وقال: {وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ}

إلى غير ذلك من الآيات والأدلة الدالة على الصدع بالحق والجهر به ما أمكن ذلك.

وقد قال-تعالى- لنبيه-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: {فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾}

وإن من غايات المنى عند أهل الأهواء أن يداهنهم أهل السنة فيداهنوا أهل السنة. وهذه هي التضحية بدين الله، لا لدين الله-سبحانه- ويحصل من ذلك من الشر والفساد في الأرض ما لا يقدِر قدرَه إلا الله-سبحانه-وتعالى- ويضل بذلك الناس عن المذهب الحق، والدين القيم، إلا من رحم الله وعصم.

فوجب وتعين أن ينفِر طائفة من أهل الحق، للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يقوموا بالنذارة، والدعوة إلى الخير، ودفع ضرر أهل الأهواء والبدع، فهم بمنزلة الصائل المعتدي، ولو ترك هذا الدفع لفسدت الأرض .

قـــــال-تعـــــالى-: {فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾}

وقـــــال: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾}

وأهل الأهواء لهم نصيب من هذه الآية، فما أنفقوه من أموال للصد عن سبيل السنة والسلف الصالح سيكون عليهم حسرة ثم يغلبون، أما الوعيد بالنار في آخر الآية، فلهم نصيب منه-أيضًا-؛ لأن من المعلوم-كما في الحديث- أن الفرق الزائغة هالكة متوعدة بالنار-والعياذ بالله- وتدبر قوله: {لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ...﴿٣٧﴾} الآية

وقوله: {قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ ﴿١٠٠﴾}

تعلم أنه-لابد- من تمييز الخبيث من الطيب، إذ لا يجوز الجمع بينهما، فلابد-من دعوة أهل السنة إلى مذهب أهل السنة، ولو خالفهم من خالفهم، ولو عاداهم من عاداهم، فإن العاقبة للتقوى، وإن العاقبة للمتقين، ولا يجوز السكوت عن البيان والدعوة إلى الله، وإلى توحيده، وإلى دين الله وشرعه ما أمكن ذلك، ولو زاد أهل الأهواء والبدع في بغيهم وخصومتهم لأهل السنة وللمنهج السلفي، فإنهم لا يزدادون بذلك إلا احتراقًا وذلاً، ولا يزداد أهل السنة بدعوتهم إلى الحق الذي هم عليه إلا نصرًا وعزًا، وسنة الله جارية في عباده بذلك.

وما ازداد أهل الأهواء تشويهًا لأهل السنة إلا ازداد أهل السنة عزًا ورفعة، وازداد خصومهم ذلاً وهوانًا، والأمر كما قيل:

**وإذا أراد الله نشر فضيلة  طويت أتاح لها لسان حسود.**

**لولا اشتعال النار في جذل الغضا  ما كان يُعرفُ طيب نشر العود.**

بل إن سيرة جميع الأنبياء والمرسلين هي أنهم ما تركوا دعوة أقوامهم إلى الله مع ازدياد كفرهم واشتداد بغيهم بتلك الدعوة ولنأخذ مثالًا واحدًا -وبالمثال يتضح المقال- من قصة نوح مع قومه من سورة نوح، حيث قال -عز وجل- {إِنَّا

أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّه وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّه إِذَا جَاء لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا * مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّه سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّه أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّه جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا}

فلم يثن عزمه عن دعوتهم إلى الله ازديادهم في عتوهم ونفورهم وكفرهم واستكبارهم.

**فإن قال:** فهل يجب على كل أحد من أهل السنة أن يحذر من البدع والأهواء وأهلها؟

**فقل له:** الرد على أهل البدع والأهواء، والتحذير من أهل البدع والأهواء فرض من فروض الكفايات، التي إذا قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقين وإلا أثموا جميعًا، ولا شك في أن التحذير من الأهواء فرع عن معرفة تلك الأهواء، كما أن الحذر منها فرع عن معرفتها-أيضًا- إذ لا يمكن أن يحذر العبد شيئًا لا يعرفه، ولا أن يُحَذِّر غيره من شيء وهو لا يعرفه، ولا شك في أن أهل العلم هم أهل للحذر من البدع والأهواء وللتحذير منها، ولكن هذا الإطلاق لا يمنع أي سني علم شيئًا من البدع والأهواء أن يحذر منها غيره، متى شرع له ذلك وجوبًا أو استحبابًا، وإنما الممنوع هو أن يقتحم الإنسان ما لا قِبَلَ له به، وأن يقفو ما ليس له به علم، فقد نهى الله عن ذلك فقال: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴿٣٦﴾}

فكما يجوز لأي مسلم أن يُبَلِّغَ عن رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ولو آية، فإنه يجوز له أن يحذر من البدع والأهواء في حدود قدرته واستطاعته، وأما من عجز فلا واجب عليه مع العجز.

أما من قدر على التحذير من أي بدعة يعلمها وقد وجب عليه ذلك، فليس في حل من أن يترك ما أوجب الله عليه، خصوصًا مع اقتضاء المقام لذلك، خصوصًا إذا عُلِم أن البدع من أعظم المنكرات، التي يجب النهي عنها وعن وسائلها وذرائعها، ولقد قال الله-عز وجل-:

{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١١٠﴾}

فكل بحسَبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله تتحقق خيرية هذه الأمة.

فليحرص كل مسلم على أن يكون له نصيب من تلك الخيرية.

وكلما كان المؤمن قويًا في إيمانه كان قويًا في ذلك التحذير، وتلك القوة محمودة شرعًا، يدل على ذلك قول النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-:"**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير**" وقد قال الله-تعالى-ليحيى:

{يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾}

وقال لموسى: {إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾}{وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾}

وقد أمر الله نبيه محمدًا-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بعد أن ذكر عددًا من الأنبياء منهم موسى ويحيى، أمره بالاقتداء بهداهم، وذلك في سورة الأنعام فقال-تعالى-:

{وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ

وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ
وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ
مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ
﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴿٩٠﴾ }

إذا علم ذلك فليُعْلَمْ أنه لا يجوز لأحد أن يزهد مسلمًا في الدعوة إلى الخير أو الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر، كما لا يجوز له أن يزهده في الإيمان بالله.

وتدبر آية خيرية الأمة سالفة الذكر، وتدبر قوله–تعالى–:

{ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ
بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٣﴾ }

فلا يجوز لأحد أن ينهي أحدًا عن الصلاة، كما لا يجوز له أن ينهاه عن الهدى أو الأمرِ بالتقوى، ولا شك أن النهي عن البدع والتحذير منها هو من الهدى ومن التقوى، فمن اتقى البدع والمحدثات، وحَذِر منها، وحذّر غيره منها، وأمره باتقائها، وكان ذلك كله منه ابتغاء وجه الله–تعالى– فإنه سالك سبيل المتقين لا محالة–.

فأهل السنة صغارهم–فضلاً عن كبارهم– ينطقون بالحق، ويهدون به، وبه يعدلون ويعملون.

وأهل البدعة صغارهم–فضلاً عن كبارهم– ينطقون بالبدعة، وإلى البدعة يدعون، ولها يعتقدون.

فما أبعد!! الفرق بين الفريقين، وما أوسع!! البون بين الحزبين.

وخلاصة القول هنا هي أن الناهي عن المحدثات والبدع، والمحذر منها ومن أهلها يدور بين الوجوب والاستحباب، وعلى الأمرين أو التقديرين، فمثله لا يلام، وإنما يُلام من يلوم من كان هذا شأنه.

**فإن قال:** هل أهل الأهواء متحدون فيما بينهم؟

**فقل له:** الأهواء متباينة ومختلفة، وأصحابها متباينون ومختلفون.

فكل فرقة من الفرق مختلفة عن الأخرى، التي لا تعتقد معتقدها ولا تنهج نهجها، بل إن الفرقة الواحدة أهلها مختلفون فيما بينهم، ولذلك يُسمى أهلُ البدعة أهلَ البدعة والفرقة، بخلاف أهل السنة فإنهم أهل السنة والجماعة، فحيثما وُجدت السنة وجدت الجماعة والألفة والمودة، وحيثما وجدت البدعة وجدت الفرقة والنفرة والبغضاء، وأهل البدعة لهم نصيب من قوله–تعالى– في أهل الكتاب:

{بَأۡسُهُمۡ بَيۡنَهُمۡۚ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ١٤}

ولما كانت الأهواء من عند غير الله، كان فيها من الاختلاف ما الله به عليم، وكذلك فإن بين أصحابها من الاختلاف ما الله به عليم.

قال-تعالى-: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢}

فأهل الأهواء قد تشعبت بهم الأهواء يَمْنَةً ويَسْرَةً، وتشعبت بهم الأهواء شعبًا شتى، ومذاهب كثيرة، وطرائق عديدة.

فالذي يعصم من الخلاف والشقاق هو التمسك بشرع الله ليس غير. قال-تعالى-:

{وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ...١٠٣} إلى أن قال: {وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ ١٠٥}

أي قد علموا بها، وإنما بغى بعضهم على بعض، كما قال في الآية الأخرى:

{وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٧}

وهم على ما بينهم من خلاف-أعني أهل الأهواء- فإنهم يجتمعون على مخالفة السنة وأهلها.

وتدبر مظاهرة اليهود للمشركين في غزوة الأحزاب قال-تعالى-:

{وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ٢٢}

إلى أن قال:

{وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ...﴿٢٦﴾}

فمع ما بينهم من الاختلاف -إذ إن هؤلاء مشركون وهؤلاء أهل كتاب -إلا أنهم اجتمعوا على حرب رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وأصحابه-رضي الله عنهم-.

وهكذا أصحاب البدع، فإنهم مختلفون فيما بينهم حتى داخل الطائفة الواحدة، ومع هذا يجتمعون على محاربة السنة وأهلها، فلهم نصيب كبير من الشبه بالكفار في هذا الباب، ذلك؛ لأن البدع من شعب الكفر لا من شعب الإيمان، وإن لم يلزم من البدعة كفر صاحبها. فمن أراد الجماعة فليبحث عن السنة وليلزم أهلها، وما سوى ذلك فابتداع وافتراق. أعاذنا الله من البدعة والفرقة، ورزقنا حب السنة وحب أهلها، وثبتنا على ذلك حتى نلقاه.

**فإن قال:** إنا نجد في أهل الأهواء كثرة.

**فقل له:** أجل، في أهل الأهواء كثرة، ولكن لا تغني الأهواء عن أصحابها شيئًا بل هي التي ترديهم، وتكون سببًا في شقائهم وخذلانهم وحرمانهم من التوفيق والخير. قال-تعالى-: {كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾}

وقال-تعالى-: {أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾}

وقال-تعالى-: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا

كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿٣٧﴾ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا ﴿٣٨﴾ وَكُلّٗا ضَرَبۡنَا لَهُ ٱلۡأَمۡثَالَۖ وَكُلّٗا تَبَّرۡنَا تَتۡبِيرٗا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ أَفَلَمۡ يَكُونُواْ يَرَوۡنَهَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا ﴿٤٠﴾ }

وقال-تعالى- عن قول الملائكة المرسلين لإهلاك قوم لوط:

{ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ } إلى غير ذلك من الآيات التي فيها إهلاك الله للكافرين، كما في سورة الأعراف، وهود، والشعراء، والقمر، وغيرها.

فإذا قرأ السني المستضعف الغريب في هذه الأزمان وغيرها مثل هذه الآيات وتدبرها كان ذلك عزاء له وتسلية، وازداد ثباتًا على ثباته على المنهج الحق، ولم يستوحش من قلة السالكين، ولم يغتر بكثرة الهالكين، فأهل الأهواء فيهم كثرة ولكنها هالكة-عياذًا بالله-تعالى- ولا يغتر بها إلا جهول.

**فإن قال:** ما السر في كثرة أهل الأهواء وقلة أهل السنة وغربتهم؟

**فقل له:** هذا شأن الحق والباطل أن أهل الحق قلة بالنسبة لأهل الباطل قال-تعالى-:

{قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ ﴿٤٢﴾}

ولا شك في أن عاقبتهم هي الخسار والبوار والهلاك والدمار والخزي والعار في الدنيا والآخرة، وحسبهم في الآخرة النار، وبئس القرار.-عياذًا بالله العزيز الغفار- وأما العاقبة الحسنة فإنما هي للمتقين، قال-تعالى-: {وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾}

وقال: {وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾}

وكثير من الناس يغتر بالباطل وبالأهواء لخفة ذلك على النفس، مع ما في النفس من ميل إلى ذلك، وفي قبول الحق ثقل عليها، قال-تعالى:

{إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ ﴿٥٣﴾} وقال: {إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴿٥﴾}

وقال: {كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾}

وقال-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ((**حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات**))

وقد جاء عن بعض السلف قوله: «الحق ثقيل مريء، والباطل خفيف وبيء»

ولينظر في صحة إسناده، وعلى كُلّ حال فمعناه صحيح، وهو يوافق الآية المذكورة في القتال وغيرها.

ثم إن الأهواء إذا تغلغلت في قلوب أصحابها فإنهم لا يعودون عنها-إلى السنة- إلا أن يشاء الله.

قال-تعالى-: {ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ﴿٣﴾ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾}

وقــــال–تعــــالى–: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾

وقال: ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾

وقال–تعالى– عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا ﴿١٤﴾﴾

أي بالآيات التي جاءهم بها موسى من عند الله

﴿وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ أي كـــــانوا مستيقنين بأن هذه الآيات إنما هي من عند الله وإنما حملهم على جحدها الظلم والعلو، فأهل البدع والأهواء والمنكرات لهم نصيب من هذه الآيات، وهم في ذلك بين مقل ومستكثر، وإن لم يلزم من ذلك كفرهم، وقد مر التنبيه على مثل ذلك غيرما مرة، وقد قال–صلى الله عليه وعلى آله وسلم– في أهل الأهواء:

((**تتجارى بهم الأهواء كما تتجارى الكَلَبُ بصاحبه لا يدع عرقًا ولا مفصلاً إلا دخله**)) أو كما قال–صلى الله عليه وعلى آله وسلم–. فإذا استحكمت البدعة في صاحبها عسر علاجه، إلا أن يشاء الله هدايته، قال–تعالى–:

﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾﴾

إذا علم ذلك فليعلم أن الذين يَصبرون أنفسهم عل طاعة الله، ويقدمونها على هوى أنفسهم، وعلى هوى غيرهم من شياطين الجن والإنس، ويخالفون العادات والأعراف الباطلة، ويصبرون على الدعوة إلى الحق، وعلى أذى تلك الكثرة الباطلة المخالفة، إذا علم ذلك فليعلم أن أمثال هؤلاء قلة غرباء، ولكنهم هم المنصورون الفائزون، والحياة الدنيا مهما طالت فهي قصيرة.

فلا تستطل السبيل ولا العمر أيها السني، ثبَّتَنا الله وإياك على الحق.

ولا شك في أن هناك أسبابًا كثيرة لإصرار أهل الأهواء على أهوائهم، إضافة إلى ما في النفس من الهوى، والركون إلى الكسل والبطالة، والإخلاد إلى الدنيا، منها تزيين شياطين الإنس والجن لقرنائهم الباطل، فيُرونهم الباطل حقًّا، والسيئ من المعتقد والقول والفعل حسنًا، قال–تعالى–: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ ﴿٨﴾﴾

وقـــال: { وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ } وشأن من أعرض عن السنة أن يوكل إلى البدعة. قال-تعالى-:

{ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ }

إلى غير ذلك من الأسباب، وإلا فالحق أبين من ضوء النهار، والبدعة ظلمات بعضها فوق بعض، ولكنه اجتيال الشياطين للناس عن السنة، ونقلهم إلى البدعة، وتحسينهم لهم القبيح، وتزيينهم لهم سوء أعمالهم.

وكذلك طول أمد أهل الأهواء في البدعة والبعد عن الحق، ذاك الطول الذي كان سببًا في قسوة قلوبهم، فلم يقبلوا الحق بل أعرضوا عنه، وكان فيهم شبه من أهل الكتاب، قال-تعالى-: { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ } وبحث أسباب بقاء أهل الباطل على باطلهم، ودوامهم على ذلك يطول، بل يمكن أن يكتب فيه كتاب. وحسب اللبيب العاقل من الأدلة القليل، أما الشقي فلا يغنيه ألف دليل، ولا يكفيه ألف تعليل.

**فإن قال:** هل يجب اعتزال من به دخن؟

**فقل له:** قد جاء في حديث حذيفة المتفق عليه، أنه سأل النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فقال:قلت: فهل بعد هذا الشر من خير، قال: ((**نعم وفيه دخن**)) قلت:وما دخنه؟ قال: ((**قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر**)) قلت: فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: ((**نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها**)) قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: ((**الزم جماعة المسلمين وإمامهم**)) قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: ((**اعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**))

فدل الحديث على وجوب اعتزال من كان مستنًا بغير سنة النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وهاديًا بغير هديه، وإن كان يتكلم بالحق أحيانًا. وكون مثل هذا يتكلم بالحق الذي يعرف أحيانًا لا يخرجه عن كونه يستن بغير سنة النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ويهدي بغير هديه، ولا يخرجه عن وصفه بذلك، وما أكثر!! هؤلاء في الناس اليوم

وقد أمر النبي–صلى الله عليه وعلى آله وسلم– حذيفة في آخر الحديث باعتزال تلك الفرق كلها، ويدخل فيها من كان هذا شأنه من الاستنان بغير سنة النبي–صلى الله عليه وعلى آله وسلم– والهدي بغير هديه–صلى الله عليه وعلى آله وسلم–. ذاك الذي تعرف منه وتنكر

ومعلوم أن كثيرًا من أهل الأهواء هم من هذا القبيل، وهو أنهم يستنون بغير سنة النبي–صلى الله عليه وعلى آله وسلم–، ويهدون بغير هديه، تعرف منهم وتنكر.

فقوله–صلى الله عليه وعلى آله وسلم– لحذيفة–رضي الله عنه–: ((**اعتزل تلك الفرق كلها**...)) يدل على أن أصحاب الدخن هؤلاء وهذه الفرق كلها مأمور باعتزالها، ولو تدبر متدبر قول النبي–صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: ((**ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**)) لكفاه دليلاً على الإمعان والمبالغة في الحذر من أهل الأهواء والبعد عنهم، وعلى أن الوحدة والعزلة خير من رفيق السوء، ومِنْ صاحب السوء، وجليس السوء، وأن العبد لا يجوز له أن يخاطر بدينه، وأن من القرف –أي المخالطة– التلف.

فكيف يقال بعد هذا الحديث في أهل الأهواء، الخارجين عن الجماعة كيف يقال: يستفاد مما عندهم من الخير؟! أليس هذا مصادمة لحديث النبي–صلى الله عليه وعلى آله وسلم– ولأمره باعتزال أمثال هؤلاء؟!.

**والخلاصة** أن أهل الأهواء لا يخرجون عن كونهم ذوي دخن أو دعاة على أبواب جهنم، وعلى كل تقدير فإنه يجب الحذر منهم واعتزالهم، بل يجب التحذير منهم؛ لأنه لا يتم اعتزال الناس لهم إلا بعد معرفة حالهم، والعلم به، وتحذير أهل العلم منهم، وإلا وقع في حبائلهم وشبههم وفتنتهم الجهال الذين لا يدرون حقيقة أمرهم.

ولقد تدبرت آخر هذا الحديث مليًا فرأيت أنه يصلح لأن يفرد برسالة مستقلة. فسبحان من آتى رسول الله–صلى الله عليه وعلى آله وسلم– جوامع الكلم!!

**فإن قال:** وما السبيل للإنكار على أهل الأهواء.؟

**فقل له:** قد بينه رسول الله–صلى الله عليه وعلى آله وسلم– في قوله:"**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**" فإن جاز للمنكِر التغيير بيده واستطاع ذلك بنفسه، وإلا جاز له الاستعانة بالسلطان في إزالة ذلك المنكر، ولولي أمر المسلمين أن ينزل بهم العقوبة اللائقة بهم، لردعهم عن منكرهم وباطلهم من تعزيز بحبس أو ضرب أو تشهير بهم، وإن استوجب الأمر قتل من لا يندفع ضرره وشره إلا بذلك القتل قُتِل، شأنه في ذلك شأن الصائل الذي يدفع بالأشد فالأشد، فإن لم يندفع أذاه وضرره إلا بقتله قتل، وإذا كان ضرر الصائل لا يتعدى إلى الدين غالبًا، ومع ذلك يجوز قتله إن لم يندفع ضرره إلا بذلك، فكيف بمن يفسد على الناس دينهم عقيدة ومنهجًا؟!

إنه–والشأن ما ذكر– أولى بالقتل لتعدي ضرره إلى الدين، ذلك الضرر الذي يُشْقِي الناس في حياتهم وبعد مماتهم. ويستعان بالسلطان–ولو كان جائرًا– ما دام أنه ينزل بهؤلاء العقوبة الشرعية المناسبة لهم. وهذه الاستعانة وتلك الإعانة كل

منهمــا محمــود، لقــول الله–عــز وجــل–: { وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴿٢﴾ }

ولا شك في أن دفع أذى وضرر أهل الأهواء من أعظم القربات، إذ إن في ذلك حفاظًا على الدين وعلى الناس من أن يضلوا أو يُفْتَنُوا في دينهم بشبهات القوم وأهوائهم، وقد قال النبي–صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: ((**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**)) فقيل: ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ فقال: ((**تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره**)) أو كما في الحديث.

فإن لم يمكن حجز أهل الأهواء عن ظلمهم–والأهواء كلها ظلم لأنها وضع للشيء في غير موضعه–إلا بالاستعانة بالسلطان عليهم جاز ذلك، والجواز هنا يجامع الوجوب ولا ينافيه، فتفطن.

فإن سأل السلطان عالما عن بعض الناس، أمن أهل السنة هم أم من أهل الأهواء، وجب عليه الجواب بما يعلم، وقد سئل الإمام أحمد–رحمه الله– من قبل أحد السلاطين عن بعض الناس ممن أراد السلطان أن يقلدهم القضاء، فكان الإمام أحمد يجيب فيهم بما يعلم من حالهم، فمن كان من أهل الأهواء عنده، قال: مبتدع أو صاحب هوى أو نحو ذلك، ومن لم يكن كذلك قال فيه ما يعلم عنه.

وهذا من النصح لولاة أمور المسلمين ولأئمة المسلمين بل لعامتهم–أيضًا–. فمن ولي القضاء وهو من أهل الأهواء ، فإنه لا يؤمن في قضائه بين الناس، ولا يؤمن أن يكسر شوكة أهل السنة، ويقوي شوكة أهل البدع من أهل مذهبه. وقد قال الناظم:

| | |
|---|---|
| **الذم ليس بغيبة في ستة** | **متظلم ومعرف ومحذر** |
| **ولمظهر فسقًا ومستفت ومن** | **طلب الإعانة في إزالة منكر** |

فإذا استوجب المقام ذكر اسم أهل الأهواء إبتداءً أو انتهاءً وأن يجيب بأسماء المسئول عنهم وجب ذلك، وهذا من جنس النهي عن الفساد في الأرض، وقد قال–تعالى–: { وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴿٥٦﴾ }

وقـــال: { فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ }

فالتعاون مع ولاة أمور المسلمين بنصحهم وتحذيرهم مشروع، وإنما المحذور هو تصديقهم بكذبهم وإعانتهم على ظلمهم، وهذا أوضح من أن تساق له الأدلة.

واعلم–رحمني الله وإياك– أن ما ذكرته من عقوبة أهل الأهواء بما يناسبهم وبما يردعهم عن إفسادهم للدين، ولو بقتل من لم يندفع ضرره إلا بقتله، قد نَقل نحوه الشيخ ربيع–حفظه الله– عن شيخ الإسلام ابن تيمية في انتقاضه–أعني الشيخ

ربيعًا-حفظه الله-بداهة- على"السراج الوهاج" للزائغ أبي الحسن المصري نزيل مأرب. وجميع أدلة الشرع على موافقة مثل تلك العقوبات، وعليها جرى عمل السلف الصالح-رضي الله عنهم-، ولا أعلم مخالفًا في هذا الباب، ألا وهو إنزال العقوبات بأهل الأهواء بما يردعهم عن أهوائهم، أو بما يقطع مادة الشر والفساد والإفساد في دين الله-تعالى-.

**فإن قال:** وهل يجوز هجر أهل الأهواء، ولو كانوا من الأقارب والأرحام؟

**فقل له:** أدلة الشرع الدالة على الحب في الله، والبغض في الله، والموالاة في الله، والمعاداة في الله والهجر عامة في القريب، والبعيد، والذكر، والأنثى، وقد نذرت عائشة-رضي الله عنها- ألا تكلم ابن الزبير أبدًا، وهو ابن أختها أسماء، وهي خالته-رضي الله عنهم- وذلك لما قال: «لئن لم تنته عائشة لأحجرن عليها» حيث كانت-رضي الله عنها- تنفق الأموال الكثيرة في وجوه الخير، إذ كانت كريمة بنت كريم، وكانت زوج أكرم الناس-رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- مما جعل ابن الزبير-رضي الله عنه- يقول ذلك، لما علم ذلك من شأنها، فلما بلغها قوله ذاك-نذرت ذاك النذر- أما بالنسبة للوالدين، فقد قال-تعالى-:

{وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ﴿١٥﴾}

فالابن يجب عليه أن يبر أباه وأمه وإن جاهداه على الشرك أو البدعة أو المعصية، ويجب عليه أن يصاحبهما في الدنيا معروفًا.

ولكن يجب عليه في الوقت نفسه ألا يطيعهما في معصية الله، بدعة كانت أو فسوقًا أو شركًا، ولا يجوز له أن يسلك سبيلهما في المعصية أيًا ما كانت، وقد قال-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ((**لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف**)) أو كما قال-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، وإنما الواجب عليه هو سلوك واتباع سبيل من أناب إلى الله، ابتداء بالنبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وتثنية بالصحابة، وتثليثًا بالتابعين لهم بإحسان في كل زمان ومكان، وقد قال-عز وجل-:

{وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾}

وليحذر كل الحذر من سلوك سبيل من سلك سبيل البدعة والضلالة أيًا من كان سالكها، وقريب من ذلك كراهة ما يأتي الحاكم من معصية الله، مع العلم بأن الحاكم أو السلطان هو ولي أمر للمسلمين بما فيهم الوالدان، فيجب طاعة أولياء الأمور في طاعة الله، وعصيانهم في معصية الله، فإن ابتدع الوالي أو الخليفة، أو وقع في بدعة، أو دعا إلى بدعة، وجب الحذر من بدعته، والتحذير منها، وعدم السمع والطاعة له في هذا، ولا ينزع يدًا من طاعته فيما أطاع الله ورسوله فيه، ولنا

أسوة في الإمام أحمد-إمام أهل السنة والجماعة-رحمه الله-، فقد أوذي في الله من قِبل بعض خلفاء زمانه، وقضاته، ولم يوافقهم على ما وقعوا فيه من الضلالة، ضلالة القول بخلق القرآن، ومع ذلك لم ينزع يدًا من طاعة، وأمر مَنْ أراد الخروج على الخليفة بالصبر على حد معتقد أهل السنة والجماعة حتى يستريح برٌّ ويستراح من فاجر.

وبهذا تنتظم الأمور وتستقيم، إذ ترد البدعة كما ردها أحمد بن حنبل-رحمه الله- وصدع بالحق في محنة خلق القرآن، وفي الوقت نفسه تحقن الدماء، وتُؤَمَّن السبل، ويحافظ على الأموال والأعراض، ويتحقق غير ذلك من المصالح المترتبة على عدم الخروج على الوالي، أو السلطان المبتدع، على أن بدعة خلق القرآن بدعة مكفرة، ومن قال بخلق القرآن فهو كافر، لكن من المعلوم أن تكفير المعين لا بد فيه من استيفاء الشروط وانتفاء الموانع، وقد قال الشيخ ابن باز -رحمه الله-: المأمون كافر، وهذا اجتهاد منه -رحمه الله- ولا يظهر لي كفره، لاستصحاب مانع التكفير، ألا وهو التأويل بسبب استحكام انقداح الشبهة في قلبه، واالتي قد دخلت عليه، وتمكنت منه، فلم تخرج، خاصةً مع إجابة أكثر الأئمة الثقات العدول في المحنة، حيث أجابوا بخلق القرآن اتقاء السيف، فهذا -بلا شك- مما يقوي بقاء الشبهة في قلب المأمون، فلم يظهر استيفاء جميع شروط التكفير وانتفاء موانعه في حقه -عفا الله عنه- والله أعلم.

ومما يدل على عموم أدلة الولاء، والحب في الله، والبغض في الله، والهجر في الله، قوله-تعالى-:

{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّه وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّه أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّه هُمُ الْمُفْلِحُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

فيجب بغض أهل الأهواء وأهل الباطل عمومًا، ولا تجوز موادتهم موادة قلبية.

فإن كان صاحب الهوى أو المعصية أحد الأبوين، فيجب بغضه لبدعته أو لمعصيته، وبغض ما هو عليه من الباطل، ولا يجوز موادَّته موادة قلبية لبدعته أو معصيته، وإنما يجب له البر والمصاحبة بالمعروف، وهذا لا ينافي البغض القلبي من أجل بدعته أو معصيته، وأما الخليفة أو السلطان إذا كان صاحب هوى أو معصية فإنه يجب بغض ما هو عليه من الباطل، مع عدم جواز نزع اليد من طاعته في طاعة الله وطاعة رسوله،كما لا يجوز الخروج عليه من باب أولى.

ومما يدل على بغض المعاصي والبدع الصادرة من ولاة الأمور، ما رواه مسلم-رحمه الله- في صحيحه، بسنده إلى عوف بن مالك، عن رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال:

((**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنوكم**)) قيل: يا رسول الله! أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: ((**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئًا تكرهونه، فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يدًا من طاعة**))[1].

[1] - وهذا الحديث الذي ذكرناه هو في صحيح مسلم برقم [٦٥-(١٨٥٥)] طبعة دار ابن رجب، الطبعة الأولى لسنة ١٤٢٢ هجرية.

كما لا ينزع بره عن والديه، ولا يرفعه عنهما، ولا عن أحدهما لمعصيته أو بدعته، وهذا البغض الذي توفرت أسبابه، لا يلزم منه التشهير بالإمام في المجالس العامة على رءوس المنابر ونحو ذلك؛ لأن هذه مقدمات الخروج عليه بالسيف، وكلٌّ ممنوعٌ، إذ إن مثل ذلك التشهير بالأئمة ذريعة للخروج عليهم، والوسائل لها أحكام المقاصد تحريمًا وكراهةً ووجوبًا واستحبابًا وإباحةً.

فإذا كان المقصد محرمًا-كالخروج على الأئمة، ولو كانوا جورة ظلمة فسقة- فإن الوسيلة إليه تكون محرمة.

ومما استدل به أهل العلم على جواز إخبار السلطان بالكلام الفاسد الصادر من آحاد رعيته، ما صح عن رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنه قسم قسمًا، فسمع ابن مسعود-رضي الله عنه- رجلاً يقول: إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريدَ بها وجه الله، فأخبر ابن مسعود النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-بذلك، فتغيظ النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- حتى كان وجهه كالصِّرف -أي محمرًا- وقال:

((**يرحم الله موسى. لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**)) قال ابن مسعود-رضي الله عنه-: «فوددت أني لم أكن أخبرته».

أما الذي ينقل أخبار أهل السنة الصادقة الصحيحة المبنية على الكتاب والسنة بفهم السلف، المخالفة لما عليه إمام ما من البدعة والضلالة، تحريشًا بينهم وبينه -أي ذاك الإمام- ووشاية بهؤلاء الرعايا من أهل السنة إلى مثل ذاك الإمام أو السلطان أو الأمير، فإنه-أي الناقل - يعتبر قتاتًا، نمامًا؛ لأنه نقل الكلام على وجه الإفساد والوقيعة، وظلم الأبرياء، فهو نمام، وفعله نميمة، فإذا كان أهل السنة يتحدثون مثلاً عن أصل من أصول أهل السنة كالاعتقاد بعلو الله على خلقه علوًا يليق بجلاله، شاملاً أنواع العلو الثلاثة من علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، وكان السلطان ينفي صفة العلو عن الله، ويعتقد أن الله في كل مكان ثم جاء فنقل ما عليه هؤلاء للإمام على جهة الإفساد والوقيعة، فإن عمله محرم.

وقد صح أن قومًا قالوا لحذيفة-رضي الله عنه- إن فلانًا ينقل الكلام إلى الأمير، فقال حذيفة-رضي الله عنه- إرادةَ أن يُسْمِعَهُ:

إني سمعت النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-يقول: ((**لا يدخل الجنة قتات**))

والقتات هو النمام، فَيُفَرَّقَ بين من نقل الكلام على جهة الإصلاح ودرء الإفساد، كما هو الشأن في نقل ابن مسعود-رضي الله عنه- كلام الرجل للنبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-وبين من نقل الكلام على وجه الإفساد، كما هو شأن أهل الأهواء، وأعداء السنن الذين يَشُون بأهل السنة إلى أئمة الجور والبدعة في كل زمان، ولا يخفى ما كان في زمن الإمام أحمد من محنة خلق القرآن، وما كان من إيذائه-رحمه الله- وسعي بعض الجورة في الفتنة، كأحمد بن أبي دؤاد، القاضي الفاتن المفتون، فيا سبحان الله-كم ما بين الأحمدين من الفرق-!! فابن حنبل إمام سنة وهدى، وابن أبي دؤاد إمام بدعة وضلالة، من يومهما إلى يومنا هذا، وبعد يومنا وزماننا هذا-إن شاء الله-.

هذا تفصيل هذه المسألة وحكمها-في نظري- وإن كنت أنا لم أفعل ذلك، إذ إنني حريص على عدم الإخبار باسم أحد معين، إلا أن أضطر مثلاً إلى إجابة عن سؤال من قبل نواب الحاكم، يسألون فيه عن فلان أو فلان من الناس، فيتعين الجواب في هذا الحال-كما أجاب الإمام أحمد-رحمه الله- الخليفة عمن سأله عنهم قبل أن يقلدهم القضاء- بيانًا لموقفي

من المسئول عنه، وبيانًا لحال المسئول عنه، ونصيحة لولاة الأمر، وإن كان ليس من الضروري أن يصدر السائل من نواب الحاكم عن قولي فيمن سئلت عنه.

وأما اعتذاري بعدم الإدلاء بأسماء أحد ابتداءً إلى نواب الحاكم هو علمي بأن لنواب الحاكم عيونهم، الذين يأتونهم بأخباري وأخبار غيري من الناس في الجملة، فلست مضطرًا-والشأن ما ذكر- إلى ذلك، فإذا أضفت إلى ذلك حرصي على عدم تشويه الدعوة السلفية وتشويه أهلها عند الناس ودفع مفسدة عدم ثقتهم فيمن يعلمون عنه أنه عين الحاكم أو نوابه، تأكد لي عدم ضرورتي إلى ذلك، فإذا أضفت إلى ذلك حذري من أن يحل ببعضهم بسببي عقوبة ويكون مثله معذورًا بعذر ما سائغ في الجملة، كجهل أو تأويل سائغ في الجملة أو نحو ذلك، وأضفت إلى ذلك-أيضًا- عدم رضاي عن ظلم أحد، ولو كان خصمًا كافرًا تأكد لي عدم ضرورتي إلى ذلك، ومعلوم حرص حكام زماننا على معرفة الخوارج وأفراخ الخوارج الذين ينازعون الأمر أهله، ولهم سبلهم في ذلك، لكني حريص على بيان المناهج الفاسدة في مجالس نواب الحاكم أو غيرها، وأما ذكر أسماء أهل البدع والضلال عمومًا، فإني أذكر للناس من ذلك ما دعت إليه الضرورة والمصلحة، وما اقتضى المقام ذكره في أي مقام كان، مع حرصي على العدل في الناس.

وليعلم أنه بالرغم من اعتذاري بحرصي على عدم تشويه الدعوة السلفية وتشويه أهلها عند الناس، فإني أعلم أن خصوم الدعوة السلفية حريصون على تشويهها بالباطل، ولكن يدفع الله من ذلك ما يشاء بفضله، وله الحمد والمنة.

فإذا علمت ما اعتذرت به عن نفسي فيما كتبته الآن، فاعلم أن هذا وسعي ومبلغ علمي الآن فلا تكن غافلاً أو معرضًا عن حكم المسألة من حيث هي، إذ يجوز أو يجب إخبار ولاة الأمور بأمر أهل الأهواء وتسميتهم بأعيانهم، متى اقتضى المقام ذلك، سواءٌ أصبت أنا في اعتذاري فيما كتبته لك أم أخطأت.

واعلم أن اعتذاري مبني على المصلحة والمفسدة الشرعيتين في ذلك فإذا اقتضت المصلحة والضرورة الشرعية ذكر أسماء أهل الأهواء وتعيينهم ذكرت أسماءهم وعينتهم في أي محل كان، ولا كرامة، وإلا فلا.

أما إخواننا السلفيون-حفظهم الله- فقد ابتليت بشأنهم حيث إني لا أرد على من اتصل عَلَيَّ عبر الهاتف من خارج الدقهلية (عاصمتها المنصورة) من بلاد مصر، ومن غيرها من البلدان حرصًا مني على سلامتهم، إذ طُلب مني قَبلُ من قِبَلِ الجهاز الأمني الإخبار بأرقام هواتف المتصلين من خارج المنصورة أو بأسمائهم، فاعتذرت عن ذلك، وآثرت لإخواني ولنفسي السلامة وترك الاشتغال بذلك، فلم أرد-غالبًا- عليهم وإن كان عدم الرد على الهاتف قد يفوت مصالح كثيرة، وكذلك استقبال غير أهل المنصورة، فإني مطالب بالإخبار بأسمائهم، وبما يدور في المجلس، مما منعني من استقبالهم-غالبًا- وإن كان بعض إخواننا وافق على أن يزورني، وأن أُدْلِي باسمه للجهات الأمنية، ولا تعجب فإن أهل السنة منهجهم-ولله الحمد- واضح، وفيه تحقيق أمن البلاد والعباد، وفيه صلاح الدين والدنيا معًا، فالله نسأل أن يخرجنا من الضيق إلى السعة، وأن يجعل بعد عسر يسرًا، فإني ممنوع حتى من الإمامة، في حال تغيب إمام المسجد الذي أصلي فيه أكثر الصلوات، ومع ذلك يتقدم كل من هب ودب، حتى ممن لا يحسن قراءة الفاتحة-والله- فضلاً عن غيرها، ولله في خلقه شئون.

ومع هذا التضييق- الذي أسأل الله أن يكشفه- فإن الدعوة السلفية منصورة وظاهرة على غيرها من الدعوات، مع قلة أهلها وأنصارها، وهذه آية من آيات الله التي ينبغي أن يعتبر بها المعتبرون، فإنا بين الحين والآخر نقرا أو نسمع عمن ينصر الدعوة السلفية، ويرد على المخالف، فاللهم كثِّر أهل السنة، واجعلهم مصابيح الدجى لكل حائر.

أضف إلى حال هذا المسجد المشار إليه أن إمامه المعين فيه من قبل الدولة لا يحافظ على الإمامة فيه-فضلاً عن الخطابة- مع أن ذلك كله منوط به، وعليه يتقاضى ما رُتِّبَ له من رزق، وأنه لا يدرس في هذا المسجد إلا بعض الدروس في رمضان، ولا أذكر شيئًا آخر من الدروس طول العام إلا أن يكون يلقي كلمة في مناسبة ما، على أني لست على يقين من ذلك.

ولا يخطب أولا يكاد يخطب في العام إلا مرة أو مرتين، وربما يمر العام ولا يخطب فيه شيئًا، ويأتي بآخرين، منهم من يُعَرِّض بالسلفيين في خطبته، ويتحامل عليهم تحاملاً شديدًا بالتلبيس والكذب، ويضع الأدلة في غير موضعها، ويضع كلام بعض أهل العلم في غير موضعه، كذبًا على الله وعلى رسوله وعلى أهل العلم، وتحريفًا لكلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم، وإلحادًا في كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم، وتنزيلاً للكلام على غير تأويله، وحمله على غير محمله، وعلى غير ما قصد منه.

أَمِثْلُ هذا المفَرِّط والمتعدي معًا يجوز أن يتقاضى مرتبه الذي رتبته له الدولة مع عدم قيامه بعمله المنوط به؟!

وإن من العجيب أن يحكي حالكٍ عنا أنا نحرم مرتبات الأوقاف، والصواب أننا نحرم على من لم يقم بعمله المنوط به نحرم عليه مرتبه، سواء كان من الأوقاف أو غيرها، وإنما يزداد التحريم ويشتد ويتأكد إذا كان التفريط والاعتداء متعلقًا بعمل ديني كالإمامة والخطابة والتدريس؛ لأن في ذلك التفريط والاعتداء تجهيل الناس وإضلالهم، وضررًا متعديًا إلى الآخرين بشأن أمر دينهم.

فإذا أضفت -أخي السني- ما ذكرته لك إلى ما سبق، وقفت على شيء من التضييق على أهل السنة الذين يحيون في الناس السنة ومذهب السلف، ويردون على أهل الأهواء والبدع بأسرهم، ومع ذلك فإننا صابرون-إن شاء الله- فلسنا خوارج.

فرج الله كرب أهل السنة وجعلهم شوكة في ظهور أهل الأهواء، وغصة في حلوقهم وجِذْلاً في أعينهم.

ومع هذا وغيره مما لم أذكره هنا فإن راية السنة عالية خفاقة ظاهرة رغم كيد الكائدين، ومكر الماكرين، وحسد الحاسدين، ورغم ضعف أهل السنة وقلتهم كما أسلفت لك.

فأيّ آية تبهر العقول بعد ذلك تدل على صحة ما عليه أهل السنة من الاعتقاد والمنهج، وسلامة ما هم عليه من ذلك؟!

فالحمد لله الذي جعلنا مسلمين سنيين سلفيين ثبتنا الله وإخواننا على الحق حتى نلقاه.

**قلت:** ثم فرج الله بعد ولله الحمد والمنة.

**فإن قال:** فما موقف من لم يتبين له الحق؟

**فقل له:** لا يجوز له أن يتعصب لأحد الفريقين على الآخر بهوى، فإن مال إلى أحدهما فإنه يلحق به، وقد أخبرنا النبي- صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بقوله: ((**الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**))

**فإن قال:** كيف يحكم على العبد بمجرد الألفة؟

**فقل له:** كما يحكم عليه بالاختلاف الذي هو ثمرة تناكر الأرواح، يحكم عليه بالائتلاف الذي هو ثمرة تعارف الأرواح.

فإذا كان الرجل من أهل السنة كان مؤتلفًا معهم-بلا شك-، وإذا كان الرجل من أهل البدعة كان مختلفًا مع أهل السنة بلا شك.

ومن كان مؤتلفًا مع أهل السنة لابد أن يكون مختلفًا مع أهل البدعة، ومن كان مؤتلفًا مع أهل البدعة لابد أن يكون مختلفًا مع أهل السنة؛ لأنه لا يجتمع النقيضان، فلا يجتمع أهل السنة والجماعة مع أهل البدعة والفرقة.

فائتلاف الأرواح مع نظائرها وأشباهها أمر ضروري، يهجم على العبد، بحيث لا يستطيع له دفعًا.

فمن ادعى السنة وهو في الوقت نفسه يوالي أهل الأهواء، فإن به من النفاق ومرض القلب ما به-نسأل الله السلامة-.

**فإن قال:** من كان والده داعيًا إلى بدعة، وخشي أن يضله والده، ماذا يفعل؟

**فقل له:** كل الأدلة دالة على الحذر من البدعة، ومن المبتدعة، فليجتهد في الحذر من شُبه والده، وبدعته، بكل السبل الممكنة شرعًا، ولْيَبَرَّه ما استطاع بالسبل الممكنة شرعًا، التي يأمن معها من الانتظام في عقد بدعة والده.

فإن كان الولد-لابد-واقعًا في بدعة والده إن خالطه، قلنا:

يبره بما أمكن من السبل التي تسمح بعدم مخالطته إذ كان النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال فيما رواه البخاري في صحيحه معلقًا: ((**فر من المجذوم فرارك من الأسد**)) فإنا نقول له:

فر من أبيك فرارك من الأسد، فإن أباك شر من المجذوم، فإن استطعت أن تبر أباك من بُعد، وإلا فلا شيء عليك، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، ويجب عليه-على كل حال- التحذير من أبيه، ذاك الداعي إلى الضلالة.

فلا كرامة لأهل الأهواء، ولو كانوا أقرب الناس، فإن الدين يجب صونه وحفظه على أهله بكل السبل الممكنة شرعًا، ولو أدى ذلك إلى التحذير من القريب والبعيد من أهل الأهواء، بل يجب عدم تمكين الأب-فضلاً عن غيره- من الدعوة إلى بدعته وضلالته، ورفع أمره إلى السلطان الذي يأخذ على يديه إن لم يرتدع إلا بذلك، لأن الداعي إلى بدعته، هو بمنزلة الصائل الذي يجب كف أذاه وشره بالأشد فالأشد، وقد قال النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ((**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**)) وكذلك لا يؤمن العبد حتى يكون شرع الله أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين، بحيث لا يداهن أحدًا في دين الله، ولا يقدم قول أحد-أبٍ ولا غيره- على قول الله، أو قول رسوله-صلى الله عليه وعلى وآله وسلم-، وقد قال-تعالى-:

{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ

كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ }

وقال -تعالى-: { لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴿٢٢﴾ } الآية.

فإن حاد الأب عن السنة ومذهب السلف، وانخرط في البدعة ومذهب الخلف، ولم يأمن الولد على نفسه منه في أي حال من الأحوال فليفرَّ منه، وليجتنبه بما أمكن من السبل الشرعية، التي تُؤَمِّنُه من الوقوع في أباطيله وشبهه وضلالاته وبدعه- فضلاً عن غيره-.

فالله الله في السنة ومذهب السلف الصالح-رضي الله عنهم- يا معشر من ابتلى بأب هذا شأنه.

**فإن قال:** فما مظان أهل العلم وطلبته الذين يؤخذ عنهم المنهج السلفي اليوم؟

**فقل له:** لن تعدم هؤلاء في بقاع شتى من أرجاء الدنيا، ولكن جل هؤلاء اليوم تجدهم هنالك ببلاد الحرمين، حيث يوجد الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي-حفظه الله- وإخوانه من العلماء وطلبة العلم.

وإن يمت قبل اليمن-وحبذا ذاك التيمم!! وأنعم به!! وأكرم!!- وجدت ثلة من طلبة العلم الذين ورثوا شيخهم مقبل بن هادي الوادعي-رحمه الله- في علم النبوة، وعلى رأس هؤلاء وفي مقدمتهم الأخ الشيخ يحيى بن علي الحجوري-حفظه الله- فنعم الوارث ونعم المورّث ونعم المؤرُوث.

وفي غير هاتين البلدتين تجد أفرادًا من السلفيين هنا وهناك. ولن يعدم باحث عن العلم السلفي هاديًا ودليلاً ومرشدًا ومعلمًا، ولكن أين الباحث عن ذلك، العازف عن حطام الدنيا، الزاهد في زخارفها المضحي برغبات نفسه وشهواتها في سبيل نيل وتحصيل العلم النفع؟!

إن من جَدَّ وجد، كما أن من زرع حصد.

**فإن قال:** لستُ أهلاً لتوريث العلم، وفهم دقيق مسائله، فماذا أصنع؟!

**فقل له:** لا أقل من أن ترفع عن نفسك الجهل، وتحصل من العلم ما تصحح به عبادتك، وتحقق به فروض الأعيان عليك. على أنه يسعك أن تبلغ ما فهمته من العلم وتعلمته، ولم يكلفك الله ما ليس في وسعك، قال-تعالى-: { لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴿٢٨٦﴾ }

وإنما كلفك ما يسعك، قال-تعالى-: { فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴿١٦﴾ }

وقد قال النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ((**بلغوا عني ولو آية**))

على أنك ينبغي أن تسأل الله-عز وجل- أن يعلمك ويفهمك ويبصرك بالحق، ويفتح لك أبواب العلم والفهم. وظُنَّ بربك خيرًا، فقد روى رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم -عن ربه-عز وجل- أنه قال: ((**أنا عند ظن عبدي بي**)) وما يدريك فلعل الله يبارك فيك، وفي علمك، ويفتح لك أبواب الفهم، ويفتح لك قلوب عباده، فيأخذوا عنك، وتصير إمامًا في الخير، وقد قال الله-تعالى-:

{ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ }

فانظر إلى آثار رحمة الله ومنته وفضله على هؤلاء الصحابة الكرام الذين ورِثوا علم الرسول، علم النبوة والرسالة، علم الوحي، وورَّثوه لغيرهم، وصاروا أئمة يُقتدَى بهم بعد أن كانوا في ضلالة عمياء، وفي جاهلية جهلاء، حيث لا عقل، ولا فهم، ولا علم.

فاسأل الله من فضله، ورحمته، ومنته، وقد أمر الله رسوله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-بقوله: { وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ }

وقال-ممتنًا عليه: { وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ }

وقال: { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ }

وقال: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٤﴾ }

وقال: { وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ }

وقال بعد آية الجمعة السابقة:

{وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾}

**ووالله** لو لم يكن من مجالسة أهل العلم وتكثير سواد مجالسهم إلا ما جاء في الحديث من قول الله-عز وجل-: ((**هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**)) لكفى به خيرًا وفضلاً وشرفًا وكرامة وهداية وأجرًا وذخرًا.

واعلم-رحمني الله وإياك- أن الحق والسنة ومذهب السلف يُنير البصائر، ويزكي الضمائر، ويصلح السرائر والبواطن والظواهر.

وإذا كان الله-عز وجل- قد جعل الصحابة أولياء بررة بعد أن كان جلهم أشقياء كفرة، فاعلم أن الله-عز وجل- على كل شيء قدير، وأنه لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض، وأن أمره كما قال:

{إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ... ﴿٨٣﴾} الآية،

وقد قال-عز وجل-: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾}

واعلم-رحمني الله وإياك-أن العلم بالتعلم، وأن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة، وأن الجبال من الحصى، وقد قال الله-عز وجل-:

{وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾}

وحضرني الآن ما بعد هذه الآية من سورة النحل، وهو قوله-تعالى-:

{أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾}

فمن علَّم الطير الطيران في جو السماء؟!

وتدبر ما في ذكر هذه الآية بعد سابقتها من المناسبة.

فاللهم علمنا وفهمنا واهدنا وسددنا.

إذا علمت هذا فإن الله قد كرم بني آدم، وجعل لهم من العقول ما امتازوا به على غيرهم من الكائنات والمخلوقات التي ليست كذلك، وقد قال-عز وجل-:

{ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾ }

وقد جعل الله-عز وجل- الرسل من البشر فقال: { وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ ﴿٧﴾ }

وقال: { وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ ﴿١٠٩﴾ }

وقال: { وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ﴿٩٤﴾ }

وقال: { قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴿١١٠﴾ }

وقال عن الملأ من قوم نوح: { فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴿٢٤﴾ }

وقال: { فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴿٢٧﴾ }

وقال: { وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ...﴿٩١﴾ }

وقال عن قول بعض الأمم الكافرة لرسولهم:

{ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ }

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، التي فيها إثبات أن الرسل بشر من البشر، ولا شك في عظم شرف ورتبة ومنصب النبوة والرسالة.

وتلك النبوة والرسالة محض فضل ومنة من الله-عز وجل- على رسله وأنبيائه.

قـــال-تعـــالى-: { قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٠ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ }

وقـال-تعـالى- في حـق المـؤمنين: { لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤ }

وقال: { ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ٧٥ }

وقـــــال: { ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ }

فـالعلم فضـل مـن الله، فليسـأل العبـد ربـه مـن فضـله، فـإن الله يحـب أن يُسْـأَل، قـال-تعـالى-: { وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ ٣٢ }

وفي حديث النزول يقول الله-عز وجل-:"**هل من سائل فأعطيه، هل من داعٍ فأستجيب له، هل من مستغفر فأغفر له**" وليأخذ العبد بأسباب تحصيل العلم النافع من اختيار الشيخ السلفي، والبعد عن المعاصي والمسارعة في طاعة الله-عز وجل-، والحرص والجد والاجتهاد. والتقلل من الدنيا إلا ما كان عونًا له، وزادًا له في مسيره إلى الآخرة بما يحقق له النجاة في الدنيا والآخرة، وقطع العلائق التي تحول بينه وبين طلب العلم الشرعي النافع، والحرص على الرحلة في طلبه وأخذه من القريب والبعيد ومن الصغير والكبير والقرين.

وقد جاء عن بعضهم:

**أخي لن تنال العلم إلا بستة سأنبيك عن تفصيلها ببيان**

**ذكاءٍ وحرصٍ واجتهاد وبُلْغةٍ وصحبة أستاذٍ وطول زمان.**

**وقد قيل:** أعط العلم كلك يعطك بعضه. وطالع سير العلماء حتى يقوى عزمك، وتنشط، وتجد، وتجتهد في طلب العلم. ولو تدبرت كتاب الله في هذا كفاك، فكيف إذا طالعت السنة وسيرة العلماء من السلف الصالح ومن تبعهم إلى زماننا هذا؟! وإياك والركون إلى أهل البطالة والكسل، فإنهم قطاع طرق الخير عليك-وما أكثرهم!!- فلا تغتر بهم، ولا تلتفت إليهم واسلك سبيل العلم، وإن قلاك القريب والبعيد، واحرص على الاستفادة والإفادة ما حييت، عسى الله أن ينفع بك، ويفتح بك أعينًا عميًا، وقلوبًا غلفًا، وآذانًا صُمًّا، وعسى الله أن ينفعك بعلمك في حياتك وبعد مماتك، وأن يجعلك ممن يُوَرِّثون العلم النافع الذي يتعدى نفعه إلى غيرك بعد مماتك، فيكون لك مثل أجور من اهتدى بعلمك، وانتفع به، فلا ينقطع عنك الخير بعد موتك وأنت في قبرك، لا قطع الله عنا ولا عنك فضله، ولا حجب عنا ولا عنك رحمته ونعمه.

وإذا كان الطعام والشراب غذاء الأبدان، فإن العلم والهدى غذاء القلوب والأرواح، وبهذا الغذاء يسعد العبد في دنياه وأخراه، والشقاء كل الشقاء في فقد هذا الغذاء، والشقاء الأعظم من ذلك هو أن يعتاض العبد عنه بغيره من الآراء الفاسدة والمذاهب الكاسدة، والأهواء البائدة، وإن مثل هذا الغذاء القلبي الروحي لجدير بأن يفرح به صاحبه، فإنه داخل في قوله-تعالى-:

{ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ }

فاغترف من العلم ما استطعت، واحرص على أن يكون لك قلب عقول، ولسان سؤول، وقد اجتزأت لك هذا النبذة المختصرة عن العلم للتذكرة وإلا فموضوع العلم بحر لا ساحل له. وفقني الله وإياك لاتباع سبيل مرضاته، والدخول في أعالي جناته.

**فإن قال:** لقد كبرت سني، ورق عظمي، وضعفت قوتي، وقلت حيلتي، فهل يمكن أن أقتصر على مشايخ بلدي ولا أرحل، فإن لم أجد، وأمكنني القراءة في الكتب والاطلاع عليها أيمكن-والشأن ما ذكر- الاقتصار على الاطلاع أو السماع لكلام أهل العلم المسجل في الأشرطة؟ وما مدى صحة مقالة: من كان شيخه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه؟

**فقل له:** اطلب العلم ما استطعت إليه سبيلاً، واحذر الأخذ عن أهل الأهواء، وهذا يكفيك ويجزئك ما دمت مطلعًا على الكتب السلفية، وسامعًا للأشرطة السلفية.

**وأما عبارة: من كان شيخه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه، فيقال فيها:**

هي ليست على إطلاقها، فمن كان مسدد الفهم، متحريًا لكلام أهل العلم، والوقوف على ضبط النصوص في مظانها، فلن تنطبق عليه هذه المقالة، وإن كان الأصل هو أخذ العلوم مشافهة من أهلها، ولكن هذا لا يمنع من أن يصير الإنسان طالب علم أو عالما بالاقتصار على الإطلاع أو السماع المذكور، وذلك بشرط تحقق الوصف الذي ذكرتُ.

ووالله إن الكتب السلفية والأشرطة السلفية للعلماء لكثيرة جدًا، بحيث إنها تغني صاحبها عن أخذ العلم على أيدي طلبة العلم الصغار، فضلاً عن أن يضطر إلى الأخذ عن أهل الأهواء، فإن مثل هذه الكتب والأشرطة قديمها وحديثها، لَتفني

الأعمارُ دون الاطلاع على بعضها أو جُلِّها-فضلاً عن الاطلاع عليها جميعها- أما صاحب الهوى الذي يجعل ما ليس بضرورة ضرورة، ويأنس بأهل الأهواء فإنه لا يروقه هذا الكلام، ويصر على أن يقع كالسمكة في شبكة الصياد، فهذا لا علاج له، إذ قد استحكم فيه الداء الذي قد أعيا الأطباء، فما لك وله؟! سلك سبيل هلاك نفسه، فلا تأس عليه.

وقاني الله وإياك شر الفتن وأعاذني الله وإياك من إزار الإعراض ورداء الكبر والهوى.

**فإن قال:** إذا ثبت جواز ومشروعية جرح المجروحين، فهل يشرع تعديل العدول؟

**فقل له:** كما أن جرح المجروحين جائز ومشروع، بل واجب إذا دعت الحاجة أو الضرورة للحذر منهم وعدم الأخذ عنهم، فإن تعديل العدول جائز ومشروع، بل واجب إذا اقتضى المقام تعديلهم من باب أولى.

ذلك؛ لأنه لا يتم أخذ العلم عن أهله إلا بعد معرفتهم ومعرفة عدالتهم.

فقبول أخبارهم وعلمهم فرع عن عدالتهم، وإذا كان جرح المجروحين جائزًا للحذر من شرهم، فتعديل العدول جائز لأخذ العلم والدين عنهم من باب أولى.

وقد قال-تعالى-: { وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ }

والهداية هنا هداية دلالة وبيان، فبين الله-سبحانه- سبيل الشر للحذر منه، وليتميز عن سبيل الخير، قال-تعالى-:

{ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ }

وملخص كلام بعض أهل العلم في نحو هذا هو أن باب المأمورات مقدم على باب المنهيات؛ لأن المأمورات مقصودة لذاتها، والمنهيات مقصودة لغيرها، وما كان مقصودًا لذاته، فإنه مقدم على المقصود لغيره، بيان ذلك أن النهي عن الشرك والمعصية مقصود لغيره، وان الأمر بالتوحيد والطاعة مقصود لذاته، وما كان مقصود لذاته أولى ومقدم على المقصود لغيره.

فالنهي عن الشرك مثلاً هو من باب إتمام وإكمال وتحقيق وتجريد التوحيد لله-عز وجل- والنهي عن المعاصي هو من باب تحقيق وتكميل الطاعة لله-رب العالمين- وأقول:

وبناءً على ذلك فإن البدع والنهي عنها والتحذير منها، هو مقصود لغيره، وهو تمحيض المتابعة للرسول-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-لا الزيادة في شرعه-سبحانه-.

فالأمر بطاعة الرسول، واتباع أوامره، وأخذ ما أتى به، مقصود لذاته، وهو مقدم على مجرد ترك البدع والمحدثات؛ لأن ذلك مقصود لغيره كما سبق. فإذا ثبت شرعية معرفة سبيل الشر للحذر منها، على حد قول القائل:

**عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه.**

فثبوت شرعية معرفة سبيل الخير لاتباعها وسلوكها قائم من باب أولى.

وإذا كان لا يتم الحذر من سبل الشر إلا بمعرفة أهل الشر والداعين إليه، فإنه لا يتم سلوك سبيل الخير إلا بمعرفة أهل الخير الداعين إليه-أيضًا- بل إن أهل الخير يعرفونك الخير، ويحذرونك في الوقت نفسه من الشر.

قال-تعالى- في قصة قارون وقومه، وما قاله لهم أهل العلم:

{فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾}

وقال-تعالى-: {وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾}

فجعل وصفهم ذلك، وقدم الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف على النهي عن المنكر.

ولا شك أن الأمة التي تقوم بذلك هم أهل العلم.

وقال لقمان الحكيم في وصيته لابنه: {يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ...

﴿١٧﴾} الآية.

فقدم المأمور به عن المنهي عنه، مما يدل على رفعة رتبته ودرجته ومنزلته في دين الله-سبحانه-، وأن المأمور به مقصود لذاته، وأن المنهي عنه مقصود لغيره، وهو الحفاظ على المأمورات وتكميلها كما سبق.

وإذا كان لا يتم معرفة سبيل أهل الخير والأخذ عنهم إلا بتعديلهم وتزكيتهم والثناء عليهم بالثناء الحسن، فإنه يجب-والشأن ما ذكر- تزكية أهل العلم، وتعديلهم، والثناء عليهم بما هم أهله، حتى يأخذ الناس عنهم العلم الشرعي، وحتى يعرف الناس حقهم، وينزلوهم منزلتهم التي أنزلهم الله-عز وجل- إياها، وحتى يوقروهم ولا يَزْهدوا فيهم ولا يُزَهِّدوا فيهم غيرهم.

إذا علم ذلك فإن تعديل أهل العلم وتزكيتهم ضرورة شرعية أوجب وآكد من جرح المجروحين؛ لأن تعديل أهل العلم مقصود لذاته، وجرح المجروحين مقصود لغيره، وما كان مقصودًا لذاته فإنه مقدم على ما كان مقصودًا لغيره، فبجرح المجروحين يتم تكميل الثقة في أهل العلم، وتأكيد تعديلهم، وتحقيق الأخذ عنهم، والحفاظ على أقدارهم بحيث لا يشاركهم في ذلك غيرهم.

ومن هنا تعرف عظم أمر جرح الذين يقعون في أهل العلم ويطعنون فيهم، وهم في الوقت نفسه يثنون على المجروحين من أهل الأهواء والأخطاء.

فلو أنهم أثنوا على أهل الأهواء والأخطاء-مع عدم جواز ذلك- وأثنوا على أهل العلم العدول، ولم يطعنوا فيهم لهان الخطب، ولكن لما رأوا أنهم واقعون في التناقض إذا سلكوا هذا المسلك-وهو حقيق بالتناقض إذ لا يجتمع النقيضان ولا يجتمع أهل العلم وأهل الأهواء على قدم المساواة أبدًا- ضموا إلى ثنائهم على أهل الجهل والهوى، الطعن في أهل العلم

والتقى، فجمعوا بين الشرين، إلا أن أعظم الشرين هو الطعن والوقيعة في أهل العلم؛ لأنه بهذا الطعن يتم الصد عن سبيل الله، وعن دينه، وعن شرعه، وعن سبيل رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وعن سبيل السلف الصالح الذين يسلك مسلكهم أهل العلم هؤلاء، والذين طعن فيهم أهل الأهواء بجهل وبهوى.

فإذا شن أهل السنة حربًا على الذين يثنون على أهل الأهواء، فإن هذه الحرب ينبغي أن تكون أشد بشأن من وقع في أهل العلم لما علمت، فإذا ضم هؤلاء المثنون على أهل الأهواء طعنًا في أهل العلم والإيمان والدين، وجب اشتداد محاربة ومجاهدة أهل السنة لهم، لجمعهم بين الشرور، وبعدهم عن الخير.

وإذا علمت ذلك علمت قدر ما سبق ذكره في أول تلك الكتابة من أن السلف كانوا يتهمون على الإسلام من وقع في أئمة الإسلام كأحمد بن حنبل وحماد بن سلمة، وعرفت أن الذين يطعنون اليوم في علماء الإسلام وأئمته، الذين هم علماؤه وأئمته، عرفت أنهم هلكى-والعياذ بالله-.

ومن هنا ينبغي أن يشاد بذكر أهل العلم في المجالس؛ لأنهم المنارات التي يستدل بها على سبل الهداية والرشاد والخير، خاصة مع حاجة الناس الماسة إلى ذلك، ومع انقلاب الأمور، ورفع الرؤوس الجهال فوق العلماء، علماء الملة والدين وحملته.

ومن هنا تعرف مدى قصور المقصرين عن الإشادة بأهل العلم وطلابه-خصوصًا في هذا الزمان، الذي قل فيه علماؤه وكثر فيه جهلاؤه، وتعرف مدى تفريط هؤلاء، الذين هم في هلكة أو على شفا هلكة.

واعلم-رحمني الله وإياك- أن الأدلة الدالة على شرعية تعديل أهل العلم والدين والتقوى والإيمان وتزكيتهم بما يبين عظم أمر ذلك التعديل وتلك التزكية- اعلم أنها كثيرة جدًا، فمن ذلك في الملائكة:

{ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ }

وقولـــــــــه: { مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ }

وقوله: { لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ ﴿١٧٢﴾ }

وقولـــه: { إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ }

إلى غير ذلك من الآيات في عموم الملائكة، وقد مر بك ذكر جبريل وميكال على سبيل التخصيص بعد عموم الملائكة، ولا شك في أن سياق الآيات هو في مدح الملائكة عمومًا وخصوصًا.

هذا، ومن تخصيص جبريل بالذكر لشرفه قوله-تعالى-:

{وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ... ﴿١٩٣﴾}

وقولــــه: {إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾}

وقـد مـر بـك ذكـر الرسـل في قولـه-تعـالى-: {مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾}

وهذا فيه مدح لهؤلاء الرسل.

وقال-تعالى-: {ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾}

وهذا فيه مدح لهؤلاء الرسل.

قــــال: {ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَـٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾}

فهذا-أيضًا- فيه مدح للرسل.

وقــــال: {ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾}

وهذا فيه مدح للرسل.

وقــــــــال: {قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾}

ونظيرها آية البقرة، حيث قال -عز وجل-:

{قُولُواْ آمَنَّا باللهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}

وقال-تعالى-:

{وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ﴿٩٠﴾}

ففي هذه الآيات مدح لهؤلاء الأنبياء والرسل.

ولا شك في أن هذه تزكيةٌ أعظم تزكية، وتعديلٌ أعظمُ تعديل؛ لأنه من الله-سبحانه- وتعالى- والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًا-أعني المتعلق منها بالرسل- ولم أعمد إلى استقصاء ذلك، فإن مثله يطول، وإنما أذكر بعض ذلك، للتنبيه على ما وراء ذلك من نظائر تلك الآيات.

وقد قال-تعالى-بخصوص زكريا ويحيى:

{ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى

وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ }

إلى أن قال:

{ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ }

وقال عن عيسى: { وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ ...﴿٢١﴾ }

وقال عن عيسى -أيضًا-:

{ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ }

وقال -تعالى- عن إبراهيم: { وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ }

إلى أن قال -عن إسحاق ويعقوب-: { فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ }

وقال بخصوص موسى وهارون: { وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾ }

وقال-تعالى- بخصوص إسماعيل: { وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ }

وقال بخصوص إدريس: { وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا ﴿٥٧﴾ }

ثم قال: { أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ﴿٥٨﴾ }

وقال في موضع آخر عن نوح: { إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴿٣﴾ }

وقال-في موضع آخر عن كليمه موسى:

{ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ ﴿١٤٥﴾ }

وقال في موضع آخر عن زكريا وزوجه:

{ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ }

وقال بخصوص نبيه محمد-صلى اله عليه وعلى آله وسلم- وعلى جميع الأنبياء والمرسلين-:

{ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ }

وقال: { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ }

وقال: { إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَـٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ }

وقال: { مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ ﴿٢٩﴾ }

وقال: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ }

وقال: { وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ }

وقال: { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ }

وقال: { وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ }

وقال: {قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾}

وقال: {إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾}

وقال: {وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾}

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي فيها مدح للنبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وثناء عليه، وتزكية له، وتعديل له.

وما أكثر!! تلك الآيات، بل إن القرآن كله ليدل على مدح النبي، وتزكيته، وتعديله، والثناء عليه، فإنه الكتاب الذي أنزله الله على رسوله، وتحدى به الكفار، وأمره بتبليغه وأثبت به نبوته ورسالته، التي هي أعظم رتبة لبشر، وقد قال-تعالى-:

{وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾}

وقال بخصوص نوح-أيضًا- إضافة إلى ما سبق:

{وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾}

وقال عن خليله إبراهيم: {سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾}

وقال بخصوصه وخصوص إسحاق: {وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ ﴿١١٣﴾}

وقال بخصوص موسى وهارون:

{وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾}

وقال بخصوص إلياس:

{وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾}

وقال عن لوط: {وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾}

وقال عنه في موضع آخر: {وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾}

وقال عن يونس: {وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾}

إلى أن قال: {فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾}

إلى أن قـــــــال: {وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿١٤٨﴾}

وقال عن داود وسليمان:

{وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ ﴿١٧﴾} الآية.

إلى أن قـــال عـــن ملكـــة ســـبأ: {قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾}

وقال: {وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ ﴿١٠﴾}

وقال عن داوود وسليمان–أيضًا–: {وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ ﴿٧٩﴾}

وقال عن أيوب: {إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾}

وقال عن داوود وسليمان–أيضًا–: {وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾}

وقال عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب:

{وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾}

وقـال عـن إسماعيـل واليسـع وذا الكفـل: {وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾}

وتأمل عبارات التزكية في مثل هذه الآيات وغيرها وتنوعها، وإذا كان الصحابة–رضي الله عنهم– كلهم عدولاً، فما ظنك بالأنبياء؟!

فإن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن نبيًا واحدًا أفضل من جميع أمته، بل إن نبيًا واحدًا أفضل من جميع المؤمنين.

إذا علمت هذا في حق الأنبياء والمرسلين، فاعلم أن الله قد زكى المؤمنين، وعدلهم في كتابه.

والآيات في هذا كثيرة جدًا، منها، قوله-تعالى-:

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨ }

وقال عن طائفة من المؤمنين صحابة خاتم النبيين:

{ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ۝١٨ }

وقال عن صحابته-أيضًا-:

{ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ۝٢٩ }

وقال: { وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٠٠ }

وقال-سبحانه- معددًا أوصاف عباده الفائزين: { إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ }

وقال: { إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ }

فتأمل تعدد أوصاف المؤمنين في هذه الآيات فإني لا أعلم لها نظيرًا في كتاب الله، في حق الكفار وذمهم، أضف إلى ذلك قوله-تعالى-:

{ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ }

وبذلك تعلم صحة تعديد أوصاف وألقاب وعبارات الثناء والمدح لأهل العلم.

وقارن بين هذا الثناء المفصل المعَدَّد، وبين الإثبات المفصل لأسماء الله-سبحانه وتعالى- وصفاته كما في قوله-تعالى:

{ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ }

وقولـــــه: { هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ }

مع آية الكرسي وغيرها، تجد طريقة القرآن في باب أسماء الله وصفاته هي طريقة الإثبات المفصل، وأن الله قد سمى عباده الصالحين ووصفهم بأوصاف مفصلة. فأشيدوا يا معشر السلفيين بذكر علمائكم في شتى المجالس، وصفوهم بما يليق بهم من الأوصاف اللائقة بهم، وعددوا أوصافهم الجميلة.من العلم، والحلم، والتقوى، والزهد، والورع، والفهم، والبصيرة في الدين، والجهاد لأهل الباطل، والحذق في العلم، والرسوخ فيه، والذب عن الدين، وبث العلم ونشره، ووصفهم بالأمانة، والصدق، والخلق الحسن، والسمت الصالح، وغير ذلك من الأوصاف اللائقة بهم، والتي تصدق عليهم، وما أكثرها!!

وإذا كان الله قد مدح المؤمنين، وأثنى عليهم، وزكاهم على سبيل العموم أو على سبيل تعيين طائفة منهم، كصحابة النبي- صلى الله عليه وعلى آله وسلم- كما سبق في بعض الآيات، فاعلم أن الله قد ذكر بعض المؤمنين باسمه في كتابه، مادحًا إياه، قال-تعالى-:

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ ... ﴿٢٤٦﴾ }

إلى أن قـــــال: { إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ }

إلى أن قال: { فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ ﴿٢٥١﴾ }

وقال عن لقمان: { وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ ﴿١٢﴾ }

وقال عن امرأة عمران: { إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ }

وقال عن امرأة فرعون-ولم يسمها وإنما سماها الرسول-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-في سنته بآسية-:

{ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ } وقال عن مريم:

{ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ }

ففي هذه الآيات دليل على تزكية النساء.

وذكر الله-عز وجل- بعض الصالحين دون أن يسميهم، قال-تعالى- عن مؤمن آل فرعون: {وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ... ﴿٢٨﴾} الآيات.

وقال بخصوص قصة الرسل الذين جاءوا إلى القرية، ومجيء الرجل المؤمن يدعوهم إلى اتباع المرسلين: {وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَـٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾}

إلى أن قال: {وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾}

وفي هذه الآيات صحة إطلاق اسم المدينة، على القرية، واسم القرية على المدينة، دليل ذلك في الآيات أنه قال في أول الآيات:

{وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَـٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾}

ثم قال في أواخرها: {وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾}

فالظاهر أن المدينة هي القرية المذكورة قبلُ لا غيرها-والله أعلم-.

وفي هذه الآيات ما يدل على غربة أهل الحق وقلتهم، دليل ذلك، قوله-تعالى-: { رَجُلٌ ﴿٢٠﴾ } مع أنها قرية أرسل إليها ثلاثة مرسلين، وفيها الصدع بالحق والأخذ بالعزيمة، ولو في زمن غلبة الفتن وكثرتها، وتدبر قوله:

{ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ } في قوله-تعالى- عنه: { إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ }

فرحم الله رجلاً سلفيًا عرف مذهب السلف، فاتبعه، واستقام عليه، ولزمه حتى الممات، وصبر عليه مع كثرة الأذى وشدته، فإن بعض أهل العلم يقدر في قصة هذا الرجل"فقتلوه" بعد قوله: { إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ }وقبل قوله: { قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ... ﴿٢٦﴾ }

فاللهم إنا نسألك الثبات على مذهب السلف حتى نلقاك مكرمين، غير خزايا، ولا ندامى، ولا مغيرين، ولا مبدلين.

وتدبر قوله: { يَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ } فلم يقل "يمشي" إذ إن في السعي معنى الإسراع، وتدبر قوله: { أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ ﴿٢٠﴾ } تعلم أن الكريم المكرم ليس من سكن في سُرَّة البلد، وإنما الكريم المكرم هو من آمن بالله الواحد الصمد. وفي هذه الآيات دليل على أن الإيمان سبب لغفران الذنوب، وتأمل قوله: { إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ }

مع قوله: { بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى ... ﴿٢٧﴾ }

وإذا ثبت أنه ليس من شرط المؤمن العصمة من الذنب، علم أنه لا يجوز أن تستغل أخطاء المؤمن أو ذنوبه، للصد عن سبيل صلاحه وإيمانه، ولا أن يتذرع بذلك للتنفير عن الصالحين، وتشويههم عند الناس،كما هو صنيع أهل الأهواء الذين ينشرون زلات العلماء تنفيرًا عنهم، وتشويهًا لهم، وصدًا لعباد الله عن سلوك سبيلهم القويم، وطريقهم المستقيم.

كما لا يجوز للعالم أو الصالح أن يترك سبيل علمه أو صلاحه، ولا أن يترك الدعوة إلى الله، وإلى سبيل العلم والصلاح والهدى والرشاد، بدعوى أن له ذنوبًا ومعاصي، فهذا الرجل المؤمن قد ذكر الله عنه غفران الله له، فإما أن إيمانه كان سببًا في المغفرة، كما قال-تعالى-:

{ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴿١١٤﴾ }

وإما أن يكون الغفران كان بسبب إيمانه و ما حل به من المصيبة وهي القتل والشهادة معًا-على حد تقدير من قدر في الكلام"فقتلوه"-.

ولا شك في ثبوت صحة الأحاديث التي فيها أن المصائب كفارة للمؤمن، كقوله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-:

((**ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه**)) وغيره من الأحاديث، وقد ثبت أن الشهيد يغفر له كل ذنب إلا الدَّيْن، كما صح في الحديث عن النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

فاثبت أيها السني على مذهب أهل السنة، في زمننا زمن الأهواء والفتن، واصبر، واعلم أن عاقبتك إلى خير، ما وفيت لهذا المذهب السلفي، الذي قَلَّ بل ندر، وعز ناصره، وكثر مخالفه، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وقال-تعالى- بخصوص الرجل الصالح الذي دعا موسى ليجزيه أجر ما سقى لابنتيه:

{قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧} فإن في ذلك دليلًا على جواز تزكية العبد لنفسه متى اقتضى المقام ذلك، ومتى كان العبد صادقًا في تلك التزكية، وقد أقره الله على ذلك، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي فيها تزكية الله لعباده المؤمنين، إما على سبيل التعميم، وإما على سبيل التخصيص والتعيين، مما يحدو بالمؤمن أن يشيد بذكر أهل العلم الذين رغب عنهم أهلُ الأهواء، في زمن كثرة الأهواء، وأهلُ الجهالة في زمن كثرة الجهالة، وأهلُ الضلالة في زمن كثرة الضلالة.

ذلك؛ لأن الدلالة على أهل العلم، والإشادة بذكرهم هو دلالة على العلم نفسه وإشادة به، وإشادة بذكر الدين نفسه.

وهل أهل العلم إلا حملة للعلم والدين، ووراث الرسول الكريم محمد-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-؟!.

هذا، وقد كنت كتبت قبلُ شيئًا يتعلق بهذه الجزئية، ضمن بحث كنت قد شرعت فيه، بل قد قطعت فيه شوطًا طويلاً، وكنت على وشك إتمامه، وكان تحت عنوان: (القول المبَيَّن في جرح المعَيّن) ولكن قد أُخذ جزء كبير منه ضمن أوراق، وكتب، وأشرطة، ورسائل، من سكني من قبل الجهاز الأمني، في محنتي الثانية بمصر، وكان هذا البحث ردًا على شخص يدعى بعلي بن إبراهيم بن حشيش من قرية الستاموني، التابعة لمركز بلقاس، التابع لمحافظة الدقهلية، حيث كان هذا المذكور يدندن بقوله: أنا صاحب منهج، وأنا أدافع عن منهج أو نحو تلك العبارات، وكان ذلك في سياق التعريض ببعض الذين يتكلمون في المخالف، وَيُسَمُّونه ويُعَينونه، نصحًا منهم للمسلمين، وتحذيرًا من المخالفين، وكأنه بذلك لا يرى تعيين الأسماء، فقوله يوهم ذلك، مع أنه يرد على أناس ويسميهم، ولكن من يرد عليهم هو ويسميهم ليسوا كهؤلاء الذين نرد عليهم، ويرد عليهم إخواننا وعلماؤنا، ليسوا مثلهم في شدة التلبيس والفتنة، فهؤلاء ينتسبون إلى المذهب السلفي، والمذهب السلفي منهم براء، ويمعنون في التلبيس والإضلال ، فلما رأيت اضطراب الرجل وعدم ثباته على قدمٍ واحدة ثابتة راسخة، شرعت في كتابة رد عليه، يبين جواز ومشروعية ووجوب جرح المعين، وهو البحث المذكور آنفًا، وجمعت، وحشدت لذلك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة، وكنت على وشك إتمامها-أي إتمام ما قصدت له-، وإلا فحصر الأدلة الدالة على ذلك متعسر بل متعذر لكثرة ذلك، فإن جرح المعين يدل عليه كتاب الله وسنة الرسول-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- والإجماع والعقل **وإن شئت قلت:**

يدل عليه الأثر والنظر، وهذا المذكور، قد كنت سجلت معه أنا وبعض إخواننا بعض الأشرطة، على إثْر زيارة وُدّية له في بيته، أجاب فيها عن شبهات القائلين بالانتخابات، وكان ذلك في غضون الانتخابات الرئاسية، أو انتخابات مجلس النواب،أو على مشارف ذلك، وقد افتتح المذكور معهدًا في بلدة تسمى بـ(كوم بني مراس) وهي تابعة لمحافظة الدقهلية، وبدأ يدرس فيه بعض الدروس، وكان بعض إخواننا يذهب إليه في هذه البلدة، فما هو إلا درس أو درسان على الجادة ثم ما نشبت الفرحة أن فترت وخمدت، بل ذهبت وخمل الرجل، فقد تغير حال الرجل فجأة، وبدأ إخواننا يسمعون منه نحو تلك العبارات السالفة الذكر وغيرها، فانفض عنه إخواننا، وافرنقعوا، وما طالت- ولا أقول دامت- فرحتي، وللعلم فقد كنت ذكرت في البحث المذكور حديث: ((**ما بال أقوام**...)) حيث لم يصرح النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بأسماء بعض أصحابه ممن أنكر عليهم بعض الأمور، وأبنت أن ذلك ليس على سبيل الإطلاق.

فالذي قال: ((**ما بال أقوام**)) ولم يصرح، هو الذي نص في أحاديث كثيرة على أسماء أناس من أصحابه-فضلاً عن غيرهم- ممن أنكر عليهم بعض الأمور، أو ذكر لهم بعض العيوب. أو ذُكر أمامه عيب أحدهم فأقر ذلك، ولم ينكره على ذاكره.

وقد ثبت في جرح المعين عشرات الأدلة إن لم تكن مئات، وقد أبنت في ذلك البحث أن التعيين قد يكون بالاسم أو الوصف، الذي يقتضي تعيين المجروح، إلى غير ذلك مما كنت ذكرته في مقدمة ذلك البحث.

**فإن قال:** فهل يجوز دعاء السلفيين لأهل الأهواء إلى المباهلة؟

**فقل له:** نعم يجوز المباهلة لمن يحاجون السلفيين من بعد ما جاءهم من العلم ووصلهم من الحجة، وبان لهم من المحجة، قال-تعالى-:

{إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾}

فمن حاج السلفيين من بعد ما علمه السلفيون من الحق فإنه يجوز مباهلته، وهذا أقوى من المناظرة، وأنا أدعوا القوم إلى ذلك.

فإن نكلوا عن المباهلة فقد خصموا مرة أخرى بعد أن خُصِموا بالحجة والبرهان.

وقريب من هذا ما قد قال الله-عز وجل- في اليهود:

{قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾} وفي الآية الأخرى: {وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا ...﴿٧﴾} الآية.

فالمبطل الضال الذي يؤمن بأن الله يبعث من في القبور، وأنه سيجازي الناس بأعمالهم إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، لا يتمنى الموت؛ لأن ما بعد الموت له أدهى وأمر، وقد قال-تعالى-: {بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾}

**فإن قال:** ألا يمكن أن يكون وراء انتقادات السلفيين لغيرهم أيد خفية يهودية أو نصرانية أو شيعية رافضية أو غيرها للتحريش بين المسلمين، وشغل بعضهم ببعض، بما يحقق مآرب أصحاب تلك الأيدي الخفية.؟!

**فقل له:** أما أهل الأهواء، فإنهم تتلاعب بهم الأهواء، ولا يفطنون لكيد أمثال هؤلاء وتحريشهم، إذ قد أعماهم شغلهم بحرب السلفيين عن رؤية الحق، وميزه من الباطل، وميز أهل الباطل من أهل الحق.

فلا بصيرة لهم، وهؤلاء هم الذين ينطلي عليهم خداع الكفار ومكرهم وكيدهم.

وأما السلفيون فهم الذين يدعون إلى الله على بصيرة، قال-تعالى-:

{قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾}

والسلفيون هم أهل العلم، الذين لا ينطلي عليهم خداع أهل الكفر ومكرهم وكيدهم، فهم أعلم الناس بما عليه الناس من الملل والنحل والمذاهب، وهم الذين يميزون الحق من الباطل، بما آتاهم الله من نور العلم والإيمان، والسلفيون هم أولى الناس بتقوى الله وخشيته؛ لأنهم أهل علم، قال-تعالى-: {إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ﴿٢٨﴾}

وتقواهم وخشيتهم ورثتهم فرقانًا يفرقون به بين الحق والباطل، والسنة والبدعة.

قال-تعالى-: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ... ﴿٢٩﴾} الآية.

والسلفيون هم أشد الناس تحذيرًا من سلوك سبيل الكفار واتباع سننهم، بخلاف أهل الأهواء الذين يركبون سنن الكفار ويتبعونه، وهذا من الوضوح بمكان بحيث لا يحتاج إلى التدليل عليه بضرب الأمثلة.

فمن كان متبعًا لسنن الكافرين، كيف يسلم من الانخداع بخداع الكافرين؟!

ثم إن السلفيين على مدار الأزمان والأعصار ينتقدون أهل الأهواء ويردون عليهم، فهل كان ذلك منهم-بما في ذلك القرون المفضلة، انخداعًا بخداع الكافرين وتحريشهم؟! حاشا، وكلا.

وإنما هم-أعني السلفيين- أعداء كل عدو للسنن من أهل الأهواء أو من أهل الكفر في كل عصر، وهم بذلك يتقربون إلى الله ويقيمون في الناس ميزان العدل والقسط. فليس السلفيون ألعوبة في يد أحد من أهل الأهواء ولا من أهل الكفر، بحيث يلعبون بهم ويتقاذفونهم يمنة ويسرة تقاذف الكرة، فمنهجهم معصوم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، بخلاف أهل الأهواء الذين هم بوابات لأعداء الإسلام.

فلا ينبغي بأي حال من الأحوال إساءة الظن بالسلفيين حينما يردون على المخالف باطله، فإنهم بذلك ينصرون دين الله، وبهم يكبِت الله أعداءه، وبهم يُبَيِّنُ الله زيف الباطل، وبهم ينصر الله الملة.

ولقد أظهرهم الله على كل مخالف ومبطل في كل عصر ومصر، وهم يبغضون أهل الأهواء وأهل الكفر، كلاً بحسبه، فليسوا لقمة سائغة في أفواه أهل البدع، فضلاً عن أهل الكفر.

فنقدهم للمخالف هو من باب قيامهم بما أوجبه الله عليهم، لا بما أوجبه عليهم أحد من أهل التحريش بين المسلمين، لا من شياطين الإنس ولا من شياطين الجن.

ولا أدل على أن أهل الأهواء يعينون الكفار على تحقيق مآربهم الخبيثة، لا أدل على ذلك من أنهم اشتغلوا بمخاصمة السلفيين وهمزهم ولمزهم ونبزهم بالألقاب، وكان الواجب عليهم أن يتركوا أهواءهم، ويقفوا في خندق واحد مع السلفيين ضد أعداء الإسلام، ولكنهم لم يفعلوا، فما كان من السلفيين إلا أنهم جاهدوهم في جملة من جاهدوا، نصرة لدين الله، وإلا فمن لزلازل القوم؟! والله المستعان.

**فإن قال:** إن بعض الناس يقر بأن هناك أخطاءً عند هؤلاء الذين ينتسبون إلى المنهج السلفي، وهو في الوقت نفسه يدافع عنهم —أي عن هؤلاء المبطلين- فما تقول فيمن هذا شأنه من الدفاع عنهم؟

**فقل له:** هذا المقر بتلك الأخطاء عند هؤلاء، وهو في الوقت نفسه يدافع عنهم، لا يخلو من إحدى ثلاث حالات في نظري:

**إما** أن يكون ممن لهم قدم راسخة في العلم والمنهج السلفي والذب عنه، وله نوع اجتهاد في هذا، فهو في دفاعه هذا عنهم يعد مخطئًا لا يُوافق هو الآخرُ على خطئه-على أن هذا الصنف-إن وجد- فهو شاذ ونادر.

**وإما** أن يكون جاهلاً، لا يعرف قدر المخالفة، وما يحكم به على صاحبها.

ومثل هذا لا يعبأ بقوله، إذ ليس معدودًا من أهل العلم، ويجب رد قول مثل هذا الصنف الجاهل، والمغتر به كثير في الناس.

**وإما** أن يكون هذا المقر بأخطاء القوم والمدافع عنهم في آن واحد هو منهم ومثلهم وعلى شاكلتهم، ويكون بصنيعه هذا ممن يَلْبس على الناس أمر دينهم، ويُغَرِّر بالجهال من الناس عن قصد وعمد، ويكون بإقراره هذا يَذَرُّ الرماد في عيون السلفيين، ويكون بدفاعه ذاك مهونًا من تلك الأخطاء -إن كانت أخطاءً في نظره حقًا- التي تخرج أصحابها عن جادة طريق السلف ومذهبهم، وهذا الصنف يجب عليه الرد، والتنكيل به، والإغلاظ عليه بما يناسب تلبيسه وتغريره وإمراره للباطل تحت مظلة الاعتراف بوجود أخطاء- على أن من تلبيس هذا المقر وتغريره أن يقول:

إن عند هؤلاء أخطاءً-هكذا على سبيل الإجمال- من غير أن يبين نوع تلك الأخطاء، ولا أن يفصلها، ويرد على أصحابها بالرد المكافئ لها، ويحذر منهم في تلك الأخطاء -على الأقل-، مما يتضمن كذبه في دعواه الإقرار بوجود أخطاء عند هؤلاء، أو يؤكد-على الأقل- تهوينه من تلك الأخطاء، وعدم عدله وإنصافه، وعدم وضعه الشيء في موضعه الملائم والمناسب له، وعدم حكمه على الشيء وفق ما يقتضيه الشرع من العدل، ولا شك في أن هذا ظلم يقبح بصاحبه، ويدخله في زمرة الظالمين، فتنتفي عنه بذلك عدالته، ويبوء بإثم صنيعه وفعله، وما أكثر!! هذا الصنف في الناس اليوم، لا كثرهم الله.

هذا إن لم يكن هذا منهم حقيقةً، فكيف إذا كان من القوم، وكان كاذبًا في ادعائه وجود أخطاء عندهم؟، فياله!! من كذب وخداع وتغرير وتلبيس في هذا العصر، الذي اجتمعت فيه جميع الأحزاب على المنهج السلفي وأهله، بما يذكرنا باجتماع الأحزاب على رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وعلى أصحابه،-رضي الله عنهم- وعداوة تلك الأحزاب لهم؟! ردهم الله خائبين، كما رد الأحزاب بغيظهم، لم ينالوا خيرًا وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قويًا عزيزًا.

ومن تأمل مقالات هؤلاء وما فيها من تناقض وتلبيس عرف حقيقة ما عليه هؤلاء من الباطل وعداوتهم للمذهب الحق مذهب السلف-رضي الله عنهم- وليت أحدًا يكتب كتابًا يبين فيه تناقض القوم.

**فإن قال:** هلم نبحث في المسائل العلمية على ضوء الكتاب والسنة، دون النظر إلى فهم فلان أو فلان، من السلف أو الخلف.

**فقل له:** هل تُسَلِّم بالأدلة الصحيحة الثابتة في فضل السلف وخيريتهم، فإن لم يُسلم بها كان البحث معه في ذلك، وإن سلم بها **فقل له:**

فإن اختلفنا في فهم بعض أدلة الكتاب والسنة فماذا تصنع؟

فإما أن يقول بتصويب الفهمين المختلفين، وإما أن يقول برد الفهمين المختلفين، وإما أن يقول بقبول الفهمين المتوافقين، وإما أن يقول برد الفهمين المتوافقين، وإما أن يستضيء بفهم غيره، إما من السلف، وإما من الخلف.

فإن قال بتصويب الفهمين المختلفين، فيكون الشرع- على هذا- قد جاء بالمتناقضات والمختلفات، والله-عز وجل- يقول-:

{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾}

فالقرآن ليس فيه اختلاف، لا قليل ولا كثير، بخلاف ما كان من عند غيره -سبحانه وتعالى- وقد قال الله-عز وجل- في وصف القرآن:

{وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾}

وقال-عز وجل-: {وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤} 

فما كان هذا شأنه من تبيين المختلف فيه، فإنه لا يتطرق إليه الاختلاف أبدًا، وإلا لما صح أن يسمى بيانًا وتبيينًا-وقد قال-تعالى-:

{كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣}

فلو كان في الكتاب اختلاف لما صلح أن يكون حكمًا بين الناس فيما اختلفوا فيه.

إلى غير ذلك من الأدلة على أنه ليس في القرآن اختلاف، ومما يدل على أنه ليس في السنة-أيضًا- اختلاف قوله-تعالى-:

{وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤}

وقوله: {وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣}

وما كان هذا شأنه وسبيله، فإنه لا يكون فيه اختلاف أبدًا.

إذ إن الله-عز وجل- ساق هذا مساق الامتنان، وما كان هذا شأنه، فإنه منزه عن الاختلاف، والحكمة هي السنة.

وقال-تعالى-: {وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤}

فإذا كان المبَيَّنُ وهو القرآن ليس فيه اختلاف، فكذلك المبَيِّنُ وهو السنة فإنه ليس فيها اختلاف. إذ إنه لا بد من مطابقة وموافقة المبَيِّن للمُبَيَّن. والأدلة على تنزيه الكتاب والسنة عن الاختلاف أكثر من أن تحصر.

وإن قال بترك الفهمين المختلفين قل له: هذان الفهمان المختلفان إما أن يكونا باطلين، وإما أن يكون أحدهما حقًا والآخر باطلاً.

فإن كانا باطلين وجب تركهما، وإن كان أحدهما حقًا والآخر باطلاً، وجب قبول الحق ورد الباطل، ولا يجوز رد الحق أبدًا، كما لا يجوز قبول الباطل أبدًا.

فالقول بترك الفهمين المختلفين بإطلاق قول باطل-لا محالة-.

وإن قال بقبول الفهمين المتوافقين، فقل له:

هذان الفهمان المتوافقان إما أن يكون كل منهما حقًا، وإما أن يكون كل منهما باطلاً، فإن كان كل منهما حقًا وجب قبولهما جميعًا، وإن كان كل منهما باطلاً، وجب ردهما جميعًا.

فالقول بقبول الفهمين المتوافقين بإطلاق قول باطل-لا محالة- إذ لا يلزم من توافق هذين الفهمين موافقتهما للحق والصواب في نفس الأمر، والقول برد الفهمين المتوافقين بإطلاق قول باطل-لا محالة- إذ لا يلزم من توافق هذين الفهمين مخالفتهما للحق والصواب.

**ثم يقال له:** فإن كان أحد الفهمين لا بد أن يكون حقًا، وأن يكون الفهم المخالف له باطلاً، فإنه قد بقي تعيين أي الفهمين هو الحق وأيهما هو الباطل، ولما كان صاحب كل فهم يدعي أنه هو المحق، وأن مخالفه هو المبطل كان-لابد- أن يكون هناك مرجح لأحد الفهمين على الآخر.

إذ الترجيح بلا مرجح محال.

ولما كان المتباحثان أو المتناظران مُسَلِّمَيْنِ بالأدلة من الكتاب والسنة، مختلفَيْن في فهمها، كان-لابد- من ترجيح أحد الفهمين على الآخر، بفهم غير المتباحثين أو غير المتناظرين. وغير المتناظرين إما أن يكون من السلف وإما أن يكون من الخلف، فإن كان من الخلف المخالفين للسلف في الفهم فقل له:

هذا يعود بالطعن على النصوص والأدلة التي سلمنا بها نحن وأنت، والتي تنص على الخيرية المطلقة للسلف في الفهم وغيره، فما بقي إلا وجوب التسليم والقبول لفهم السلف-رضي الله عنهم-، ورد فهم الخلف المخالف لفهم السلف، وإلا لزم الطعن في هؤلاء السلف طعنا يلزم منه بدوره الطعن في النصوص والأدلة القاطعة في فضل السلف وخيريتهم ويكون بذلك قد وقع في التناقض حيث ادعى التسليم للنصوص والأدلة في أول أمره، وردها في آخره حيث طعن فيها ، وهذا يدل على فساد مذهبه واضطرابه واختلافه.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى-:"فإن التناقض أول مقامات الفساد." على أن الطعن والرد للأدلة الصحيحة من السنة الثابتة، وعدم قبولها كفر بصاحبه، فإن انتفى وتبرأ من فهم الخلف المخالف لفهم السلف قلنا له:

فما بقي إلا وجوب قبول فهم السلف والتسليم له، وهذا هو المطلوب، فلا يصح-بناءً على هذا- دعواك التباحث في المسائل العلمية دون الرجوع إلى فهم أحد أي أحد.

ومن أدلة الاستضاءة بفهم السلف واتباع مذهب السلف التي ذكرها أهل العلم قوله-تعالى-:

{ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ }

وقولـــــــه: {فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾}

وقوله: {وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ﴿١٥﴾}

وقولـه: {وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾}

وقوله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ((**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور**))

وقوله: ((**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**...)) الحديث، إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على ما ذكرنا-وما أكثرها-!!

ولله الحمد والمنة.

فمن رام الحق، اتبع سبيل السلف ومن تبعهم في فهم الشرع، ومن رام الحق من غير سبيلهم فما له إلى الوصول إلى الحق من سبيل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وهل يليق بعاقل أن يقدم فهمه على فهم من جاء النص بخيريتهم وفضلهم من السلف الصالحين؟!

**فإن قال:** ألا يُكْتَفى بكلام العلماء في باب الجرح والتعديل، ويُقْتَصَرُ على ذلك، بحيث لا يتكلم طلبة العلم-فضلاً عن غيرهم- في هذا الباب، ولو كانوا ناقلين-فحسب- لكلام أهل العلم؟

**فقل لـه:** لا يقول بذلك إلا من تحجر واسعًا. ذلك؛ لأن الناس تبع لعلمائهم، ينقلون كلامهم، ويقبلون أحكامهم، وعلى ذلك جرى عمل الناس خلفًا عن سلف، ولا يعرف دليل نقلي ولا عقلي يمنع من ذلك، والأصل هو قبول الناس خبر الثقة، قال-تعالى-:

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾}

فلا يجب التبين من خبر العدل، والخطاب في الآية لعموم المؤمنين، فالذين في الآية من ألفاظ العموم، وقال-تعالى-:

{ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ }

فلا حرج من تعليم الأمي والعامي ما لم يعلم، بل قد بُعث الرسول بتعليم من لا يعلم ،كما في الآية، وكما في قوله-تعالى-:

{ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ } إلى غير ذلك من الآيات الدالة على تعليم الجاهل.

ولا شك أن باب الجرح والتعديل هو من أبواب العلم والدين، التي جاء بها رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، والتي تعَلُّمُها مشروع، وإبلاغها مشروع، غير أنه لا يجوز لمن لا علم عنده أن يقفو ما لا علم له به.

قال-تعالى-: { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴿٣٦﴾ }

وإذا كان هذا نهيًا للنبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- عن ذلك فأمته منهية عما نهي عنه-أيضًا- في هذا بلا ريب ولا ريبة.

فمن دعا إلى خلاف ما دلت عليه الأدلة، فهو داعٍ إلى جهل وضلال.

ثم يقال له: لقد درج طلبة العلم قديمًا وحديثًا، على نقل كلام أهل العلم في المجروحين، وقد أقرهم أهل العلم قاطبة على ذلك، فمن سلك غير سبيلهم فليس إلا فاتحًا باب جهالة وضلالة، ومغلقًا باب علم وهداية.

**فإن قال:** إن ردكم على من ينتسب إلى مذهب السلف ادعاءً، لما يشمت بهم أهل الأهواء الظاهرة كالإخوان المسلمين-مثلاً-.

**قلنا:** إن الرد على المخالف واجب، وأهل السنة إنما يقومون بما أوجبه الله عليهم، سواءً كان المخالف ممن ينتسب إلى مذهب السلف ادعاءً لا حقيقة، أو كان ممن لا ينتسب إليه-أصلاً-.

ولا يضر السلفيين قيامهم بما أوجبه الله عليهم، وإنما هذا ينفعهم، وتبرأ به ذمتهم.

ثم إن الرد على من ينتسب إلى مذهب السلف ادعاءً لا حقيقة، هو رد على إخوانهم من أهل الأهواء الظاهرة، على أن هؤلاء المنتسبين إلى مذهب السلف ادعاءً هم داخلون في عباءة الإخوان المسلمين، فهم إخوانهم الجدد، غير لأنهم ممعنون في التلبيس والتضليل، فوجب مكافأة ذلك بالإمعان في الرد والتنكيل، فتفطن.

**فإن قال:** إن هؤلاء الذين تسميهم أدعياء السلفية يحملون في دعوتهم هَمَّ الأمة.

**فقل له:** لو كان القوم صادقين في حمل هم الأمة-على حد قولك- لكانوا وقافين عند حدود الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة وعلماء الأمة، أما وهم خصوم لعلماء الأمة، فهم من أوائل الجناة على هذه الأمة، بجهالاتهم وحماساتهم الفارغة من العلم والعاطلة عنه، والواقع يصدقنا ويكذبهم، ولا أقل في التدليل على ذلك من فتنة الجزائر التي قتل فيها المئات أو الآلاف، وغير هذه الفتنة كثير، لأمثال هؤلاء الفاتنين المفتونين يد طولى فيها، فأيديهم وصحائف تاريخهم سوداء، وتجد وراء حماساتهم تلك البلاء وسفك الدماء، فلو كان لسانهم أشل، ويدهم شلاء، لكان ذلك أهون عليهم وعلى الأمة من جرهم الأمة إلى أتُّون -أي موقد- الفتنة والبلاء، ومن تسببهم في جلب الشقاء لأنفسهم ولغيرهم.

فليت هذا العناء كان في تحصيل الدواء، لا في التسبب في الأدواء، ولكن فاقد الشيء لا يعطيه-حقًا-. وسبحان الله!! لا تكاد تجد فتنة إلا وتجد أهل الأهواء حافين حولها يَحُشُّونها، ويذكون نارها، ولا يخفى مثل هذا على أهل العلم، وإن كان يخفى على كثير من الأغبياء. ولقد بلغني عن أحد أهل الضلال من المعاصرين، من أصحاب الحماس الفارغ عن العلم، العاطل عن التقيد بضوابط الشريعة وأزِمَّتها، أنه قال في شريط له: [لو عرضت أعمال الأمة على زبال ما قبلها]

**قلت:** إن قائل هذا إن نجا من الكفر ما نجا من الضلال، وإن الرد على هذه العبارة ليحتمل رسالة طويلة، وإلا ففي أي بحر غرقت الطائفة الظاهرة المنصورة؟! وفي أي وادٍ هلكت؟! وبأي سبب تلفت؟!

ألم يقل النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-:

((**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**)) أو كما قال-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ولا يستغرب صدور مثل هذا عن هذا القائل، فقد سمعت له-وهو محمد بن حسان المصري- في شريط له، بعنوان: (إلا رسولَ الله)!! كان قد ألقاه في غضون اعتداء الصحف الدنماركية على رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- سمعته ذكر فيه ما يأتي:

اكتب ما شئت ولا تخجل فالكل مهان وفيه-أيضًا-: اكتب ما شئت ولا تخجل فالكل جبان .

نعوذ بالله من الضلال، وصدق رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- إذ قال: ((**من قال هلك الناس فهو أهلكهم**)) وقال: ((**يأتي على الناس سنوات خدَّاعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويُخَوَّن فيها الأمين، ويؤتمن فيها الخائن، وينطق فيها الرويبضة**)) قيل: وما الرويبضة قال: ((**الرجل التافه -أو قال السفيه- يتكلم في أمر العامة**)) أو كما قال-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

وإن مثل هذه العبارات الباطلة، المزرية بالأمة، القادحة فيها، الطاعنة فيها شنشنة نعرفها من أخزم، ولا تعجب فإن لسيدهم سيد قطب إرثًا مخزيًا في هذا الباب، حيث كفر المجتمعات الإسلامية التي تردد الأذان، وتنطق بكلمة التوحيد ليل نهار، بما في ذلك بلاد الحرمين، التي يُحكم فيها بشرع الله-إذ لم يستثن بلدًا من البلدان، وهذا الإرث قد وَرَّثه هذا المذكور إلى غيره، كما وَرِث منه ما ورِثَ من غيره، ولكل قوم وارث!!

فبئس الإرث ، وبئس الوارث، وبئس المورِّث!! وقى الله بلاد الإسلام شرور أمثال هؤلاء المتعالمين المنتفشين بالباطل.

ومن كان في شك من ضلال إمام الضلالة سيد قطب، فليقرأ كتب العلامة ربيع بن هادي المدخلي-حفظه الله- في الرد عليه، إضافة إلى كتاب المورد الزلال للدويش-رحمه الله- ففي تلك الكتب غنية وكفاية لمن أراد الوقوف على ضلال الرجل.

**فإن قال:** هل تذكر لنا سمة أو علامة واضحة يعرف بها السلفي من الخلفي، والسني من البدعي؟

**فقل له:** نعم، أذكر لك علامة واضحة جلية في التفريق بين هذا وذاك، وهي أن السني هو الذي إذا ذكرت الأهواء لم يغضب لشيء منها كما جاء نحو ذلك عن بعض السلف.

وراجع لهذا-على الأقل- كتاب مختصر الشريعة للآجري-رحمه الله-، للشيخ أبي عمرو عبد الكريم الحجوري-حفظه الله- بتقديم الشيخ يحي بن علي الحجوري-حفظه الله- خليفة الشيخ مقبل-رحمه الله- على كرسيه.

وبهذا تعرف تشرب كثيرين من أهل العصر للأهواء، وخذ على ذلك مثالاً واحدًا ها هنا، وهو أنه لما انتصب الشيخ ربيع-حفظه الله- للرد على ضلالات سيد قطب، التي شحن بها كتبه، وأضل بها جبلاً كثيرًا، ثارت ثائرة أهل الأهواء، الذين غضبوا لسيد قطب، فقاموا يدافعون عنه، ويتأولون له، بل كان دفاعهم عن هذا الزائغ دفاع المستميت، وهم في الوقت نفسه يغمزون ويهمزون ويلمزون أهل العلم الذين تكلموا في سيدهم، ومن أمثال هؤلاء المدافعين بالباطل عن سيد قطب المتأولين له، المتبعين لأهوائهم مخالفين بذلك مذهب أهل الحق، وهم في الوقت نفسه لم يحفظوا حرمة هؤلاء العلماء، من بين هؤلاء المدافعين بالباطل محمد بن حسان المصري، ذاك الضال الفاتن المفتون الزائغ عن مذهب أهل الحق، وأبو إسحاق الحويني-بالحاء المهملة- ذاك الممعن في الجهل، العريق في الضلال، البعيد عن مذهب أهل الحديث، ولو تشدق بالانتساب للحديث، أو نصرة الحديث وأهله في كل حديث.

إذ إن من لم يذهب مذهب أهل الحديث، ومن لم يسلك مسلك أهل الحديث، فليس من الحديث، ولا من أهل الحديث.

وهذان قد ابتلي بهما-فضلاً عن غيرهما- كثير من أهل هذا العصر، خصوصًا في تلك الديار، التي هما منها، ألا وهي ديار مصر-حفظها الله وسائر بلاد المسلمين من شر وكيد الخوارج المارقين الذين يغضبون وتتمعر وجوههم إذ تكلم، أهل العلم في سادتهم من أهل الضلال.

هذا، وقد وَسم إمام أهل السنة في هذا العصر، ألا وهو الشيخ ربيع بن هادي المدخلي-حفظه الله- هذين المذكورين بأنهما من المبتدعة، وأن تربيتهما إخوانية، يعني-حفظه الله- فرقة الإخوان المسلمين.

وقد عد شيخنا الإمام مقبل بن هادي الوادعي-رحمه الله- ذاك الحويني، عده من المبتدعة، كما وسمه العلامة الإمام أحمد بن يحي النجمي-رحمه الله- بأنه تكفيري.

**قلت:** والرجلان لا يخرجان عما وسمهما به أهل العلم، إلا أن يخرجا إلى ما هو أشد مما هما عليه من الضلال، فالرجلان لا تُعلم عنهما توبة مما هما عليه اليوم من الضلال والزيغ، بل-والله- لا نزداد فيهما وفي أمثالهما إلا بصيرة، يومًا بعد يوم، بأنهما من أهل الضلال.

ولا نعلم-والله- لهما ولا لنظائرهما وجهًا إلى السلفيين، وإنما أُلْفَتهم مع أمثالهم وأشباههم ونظرائهم من أهل الضلال، وهم بذلك إنما يضرون أنفسهم وأتباعهم، ولا يضرون الله شيئًا، ولا يضرون المذهب السلفي شيئًا.

فالمذهب السلفي محفوظ بحفظ الله، ثم بقيام أهل العلم الراسخين الصادقين الناصحين المخلصين بحراسته، والذب عنه كل دخيل فيه أو متقول عليه، والحمد لله الذي أظهرهم على جميع خصومهم، واظهر مذهبهم ومنهجهم على سائر المذاهب-فجزاهم الله خيرًا، وكبت خصمهم وشانئهم-.

**ووالله** إن باطل القوم أظهر من أن يبين بالرد عليه، لولا شدة الفتنة والاغترار بهؤلاء، وما أكثر!! هؤلاء المفتونين بهم والمغترين

إن حكم أمثال هؤلاء العلماء على أمثال هؤلاء الضلال -إضافة إلى واقعهم من قولهم وفعلهم الذي يؤكد صدق هؤلاء العلماء في حكمهم-لا يبقي ريبة لمرتاب في أمرهم، ولكن ما الحيلة في قوم أعرضوا عن أحكام هؤلاء الأئمة، وتعصبوا لأهل الضلال؟!

قاتل الله أهل الأهواء، وأرانا فيهم آية بينة سوداء.

**فإن قال:** إن الشدة على أهل الأهواء، والوقيعة فيهم، والطعن فيهم، مما ينافي الأخلاق الحسنة، التي ينبغي أن يكون عليها السلفي.

**قلنا:** لقد صح عن رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- من حديث عائشة-رضي الله عنها- أنها قالت عن خلق رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «كان خلقه القرآن» ولقد قال الله-عز وجل-:

{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ }

فلم تكن مجاهدته وغلظته-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- على الكفار والمنافقين منافية للأخلاق الحسنة، بل هي من الأخلاق الحسنة.

وقال-تعالى-:

{ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ ﴿٩﴾ }

فلم تكن مقاتلة الطائفة الباغية منافيةً للأخلاق الحسنة، بل هي من الأخلاق الحسنة.

وقد قال-تعالى-: { قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ ﴿١١٩﴾ }

فلم يكن القول بذلك لأعداء الله منافيًا للأخلاق الحسنة، بل هو من الأخلاق الحسنة، وقال-تعالى-:

{ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ } فلم يكن القول بذلك منافيًا للأخلاق الحسنة، بل هو من الأخلاق الحسنة

وقال -تعالى-: { قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ

﴿٥٢﴾ } فلم يكن القول بذلك منافيًا للأخلاق الحسنة، بل هو من الأخلاق الحسنة.

إلى غير ذلك من الآيات التي يعسر استقصاؤها هنا، مما يدل على أن الشدة في مخاطبة المخالف، ومجادلته، والطعن فيه، ونقده على الوجه الشرعي، أن ذلك كله من الأخلاق الحسنة.

لم لا؟! وهي طريقة القرآن، وطريقة الرسول-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- الذي كان خلقه القرآن، وكان مؤتمرًا بأمر الله.

وأحاديثه-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- في الخوارج كثيرة، منها قوله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-:

((**الخوارج كلاب أهل النار**))

وقوله-((**هم شر الخلق والخليقة**))

وقوله: ((**شر قتلى تحت أديم السماء**))

وقوله: ((**خير قتيل من قتلوه**))

وقوله: ((**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد، وفي لفظ قال أُراه قال: ثمود**))

وقوله: ((**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**))

وقوله:"**اقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة.**" أو كما قال-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

فلم تكن تلك الأحاديث منه-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- منافيةً للأخلاق الحسنة، بل هي من الأخلاق الحسنة، ولم لا؟! وهي أقوال رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- الذي وصفه ربه بقوله: { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ }

فمن ادعى أن الشدة على المخالف مع كونها على الوجه الشرعي-مذمومة، فقد لزمه الطعن في القرآن الذي هو كلام الله، ولزمه الطعن في السنة التي هي أحاديث رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- من أقوال وأفعال وتقريرات وأوصاف خُلُقية له-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- والطعن في السلف الصالح-رضي الله عنهم-، ومن اتبعهم بإحسان إلى يومنا هذا، إذ كانت شدتهم على المخالف على الوجه الشرعي معلومة، وسيرتهم في ذلك مزبورة في الكتب، ووقائعُ أحوال أئمة الإسلام في هذا الباب منصوصة من لدن صحابة رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- إلى زمننا هذا، فلم تكن

أخلاقهم تلك منافية للأخلاق الحسنة، بل هي من الأخلاق الحسنة، وإن الرمي بمثل تلك الأقوال والشبهات إنما يلقى رواجًا في سوق الأهواء والجهالات، وبه يتم التغرير بالعوام الجهلة الرعاع، أتباع كل ناعق.

أما أهل العلم فلا تلقى منهم تلك الشبهات إلا الرد والإبعاد والإقصاء والتنفير بالحجة والبرهان، فتصير كالدخان الذي لا بقاء له، أو كفقاقيع الماء التي لا بقاء لها، أو كحركات الذبيح التي لا دوام لها، ولا تعدو مثلُ تلك الشبهات أعينَ أهل العلم القارئين لها، أو آذانهم السامعة لها، فليس لها في العقل محل، ولا في القلب قرار.

ثم إن أهل الأهواء إنما هم يطعنون في أهل السنة بغير وجه حق، بَعِيدِين بذلك عن الأخلاق الحسنة، مرتكسين في الأخلاق السيئة، فإن الأخلاق الحسنة منهم-لو كان عندهم أخلاق حسنة- تطيش منهم حال الكلام على خصومهم أهل السنة، فالقوم يرمون أهل السنة بأدوائهم، على حد ما جاء في المثل: **رمتني بدائها وانسلت**.

قاتل الله أهل الأهواء في كل وقت وحِين، وباءوا بالذل والصغار والخَيْن، أولئكم هم الكاذبون، وإلا، فكيف يُجعل الطعن في أهل الأهواء بحق من الأخلاق السيئة، ويُجعل الطعن في أهل السنة والعلم والدين من الأخلاق الحسنة؟!

أليس هذا هو الكذب بعينه، والافتراء بعينه، والتلبيس بعينه، والجهل الفاضح بعينه؟! بلى والله.

**فإن قال:** أليس إغاظتكم يا معشر أهل السنة لأهل الأهواء بالهجر والطعن وشدة القول، أليس هذا ونحوه مما ينافي الإخلاص.؟

**قلنا:** الجواب عن هذا يعرف مما سبق قبله.

وكيف يكون هذا منافيًا للإخلاص، وصاحبه متبع للكتاب والسنة بفهم سلف الأمة؟!

إننا نقول-كما قال العلماء- بما دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة، وهو أن العمل لا يقبل إلا بشرطين: هما الإخلاص والمتابعة، وأهل السنة والحديث والأثر هم أحق الناس وأولى الناس بالقيام بهذين الشرطين على الوجه الأكمل.

فهم أعظم الناس إخلاصًا، وهم أحرص الناس على اتباع الشرع.

ويقال-أيضًا-: إن تحري أهل السنة في اتباع الشرع دليل صادق وبرهان ظاهر على إخلاصهم، لا على نفاقهم أو كذبهم، فتفطن.

وإن كان أهلُ السنة المتبعون للكتاب والسنة بفهم سلف الأمة غير مخلصين، فهل يكون المخلص من أُشرب قلبه من هواه، وأشرب في قلبه حب الهوى بعيدًا عن العقل والنقل، أيا من يعقل؟!

إن من ادعى هذه الدعوى، لزمه الطعن في إخلاص الرسول-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- والطعن في إخلاص السلف الصالحين، ومن تبعهم بإحسان إلى يومنا هذا، بل إلى يوم الدين، وكفى بذلك دليلاً على فساد هذه الدعوى، وكفى بذلك نقضًا وردًا واجتثاثًا لها، والحمد لله رب العالمين.

**فإن قال:** إن الخوارج إنما خصومتهم هي بينهم وبين الحكام، فما لك ولتلك الخصومة؟ وما لك وللدخول فيها؟

**قلنا:** هذا غير صحيح، ذلك؛ لأن خصومة الخوارج إنما هي بينهم وبين أهل السنة حكامًا ومحكومين. وهب أن الخصومة بينهم وبين الحكام فحسب، ألم يقل الله-عز وجل-: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴿٢﴾} ؟!

وألم يقـــل: {كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ... ﴿١١٠﴾} الآية؟!

وألم يقـــــــل الله: {فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿١١٦﴾}

وألم يقـــل الله: {أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٥﴾} ؟!

وألم يقـــل الله: {وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾} ؟!

وألم يقل النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ((**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**)) قيل:يا رسول: أنصره مظلومًا فكيف أنصره ظالما؟ قال: ((**تحجزه عن الظلم**))؟! أو كما قال-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-؟!

ألم يقل الله هذا وغيره من الآيات، التي فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟!

وألم يقل الرسول-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- هذا الحديث في نصرة المظلوم ونصرة الظالم على هذا الوجه والبيان النبوي المذكور في الحديث؟! أليس الصديق أبو بكر-رضي الله عنه- قد تلا قوله-تعالى-:

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴿١٠٥﴾} وقال:

«أيها الناس: إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها، وإني سمعت رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يقول:

((**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**))؟! أو كما قال-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

ألم يقل النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- هذا وغيره من الأحاديث، الدالة على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والأخذ على يد الظالم، كقوله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- في الحديث المتفق عليه، من حديث النعمان بن بشير-رضي الله عنهما-: ((**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا أرادوا أن يستقوا صعدوا إلى أعلاها ومروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا، ولم نؤذ من فوقنا، فلو تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعًا، ولو أخذوا على أيديهم نجو ونجوا جميعًا**)) ؟! أو كما قال-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

ألم يقل النبي مثل هذا الحديث، الذي فيه النهي عن المنكر، والأخذ على يد الظالم؟!

ألم يقل أمثال تلك الأحاديث.؟!

وألم يَسِر المؤمنون على طريقة القرآن، وعلى هدي النبي عليه الصلاة والسلام في ذلك، عبر العصور والأزمان.؟! بلى والله.

إذا علم ذلك فإنه يجب على أهل السنة وعلى أهل العلم الإنكار على أهل الجهل وأهل الباطل، الذين يفسدون دين الناس ودنياهم، ولا يصلحون.

ثم لْيُعلم أن الخروج على الحكام ليس اعتداءً على حق الحكام فحسب، وإنما هو اعتداء على حق الله-أيضًا-، فالقوم معتدون على حق الله وحق عباد الله.

فالله-عز وجل- قد حرم في شرعه الخروج على حكام المسلمين. فمن خرج على حكام المسلمين فقد عاث في الأرض فسادًا واعتدى على حق الحكام والمحكومين واعتدى على حق الله-سبحانه وتعالى- فوجب الإنكار على هؤلاء الخوارج المفسدين، وتشديد الوطأة عليهم، والأخذ على أيديهم بالقول وبالفعل، وإن شئت قل: بكل وسيلة شرعية مستطاعة، في درء شر هؤلاء الصائلين والخوارج المفسدين، وإذا كان الحكام مأمورين بمقاتلة الخوارج فكيف يسوغ إعانتهم على ترك تلك المقاتلة -لو تُصُوِّر رضاهم وإقرارهم بخروج الخوارج وإفساد المسلمين-؟!

أليس الواجب هو النصح لهم -أي الحكام- بإقامة دين الناس ودنياهم، والتحذير من الفساد أو الرضا بالفساد وإقراره؟!

ثم أليس الواجب هو الحفاظ على حق الله، والمنع من انتهاك حرمة ذلك الحق، وتأكدُّ الحفاظ على ذلك في عنق كل مسلم؟! بلى والله.

خصوصًا إذا علم أن أهل الأهواء والبدع ينسبون باطلهم إلى دين الله، وهذا منهم تبديل لدين الله، وافتراء وكذب على الله يستوجب تكفيرهم لولا موانع التكفير كالتأويل والجهل ونحو ذلك. والله المستعان.

**فإن قال:** ألا تستغنون عن بيان ما عليه أهل الضلال من خوارج وغيرهم بمعرفة الحكام بما هم عليه؟!

**قلنا:** يجب على أهل العلم بيان ما عليه أهل الضلال من ضلال، وتحذير الناس من ضلالهم؛ لأنهم بالسكوت عنهم يتمكنون من إفساد عقائد الناس، وهذا ما لا يجوز لأهل العلم السكوت عنه، ثم إنهم بإقامة الحجة عليهم من قِبَلِ أهل العلم يزول عذرهم في ضلالهم، وقد قيل: قد أعذر من أنذر، أي: أزال العذر، فالهمزة في أعذر للسلب والإزالة، وكذلك

يثبت للحكام العذر في الأخذ على أيدي هؤلاء، وقد قال-تعالى-: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾}

وقال: {رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾}

فلا يقال: يُكتفى بسيف السلطان عن سيف اللسان والبنان لأهل العلم والإيمان، المبين لما عليه أهل البدع والزيغ والفساد والطغيان؛ لأن سيف الحكام وسيف العلماء قرينان، والأصل هو البيان بالحجة والبرهان، فمن لم ينزجر بالحجة والبيان فيبقى الأخذ على يده بسيف السلطان، وقد قال-تعالى-: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾}

ذكر نحو ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- فالكتاب والحديد قرينان في كتاب الله، فمن لم يستجب لكتاب ولم ينزجر به انزجر بسيف السلطان، ولله الفضل والامتنان، وهذا لا يمنع من تعزيره وردعه بوسائل الردع -بما دون السيف والسنان- الزاجرة له عما يجب انزجاره عنه قبل مقاتلته وقتاله.

**فإن قال:** لو كان أهل السنة على حق لما ابتلوا بحبس السلطان.

**قلنا:** قد قال رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ((**أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل**)) وقد قال-تعالى-:

{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾}

والآيات والأحاديث في ابتلاء أهل الصلاح والاستقامة كثيرة جدًا، فالابتلاء سنة كونية جارية على عباد الله الصالحين، عبر الأزمان والعصور، وقد ابتلي جميع الرسل بتكذيب قومهم لهم، وإيذائهم-أي إيذاء الكفار- لرسلهم بالقول أو الفعل أو بهما معًا، فلو طعن في أهل العلم والإيمان بمجرد الابتلاء لَلَزِم من ذلك الطعن في هؤلاء الرسل، ولا يخفى بطلان هذا اللازم عند عوام المسلمين، فضلاً عن خواصهم.

وهل حَبْس الإمام أحمد من قبل سلاطين زمانه يدل على ضلاله؟!

كلا، فالإمام أحمد هو الملقب بإمام أهل السنة والجماعة، لصدعه بالحق، في زمن قل فيه الصادعون به-أعني صدعه بالحق في محنة خلق القرآن، وصدعه بأن القرآن كلام الله غير مخلوق-.

ولقد ابتلى ابن تيمية-رحمه الله- بالحبس، وهو الملقب بشيخ الإسلام، وهو مَنْ هو، وهذا على سبيل المثال لا الحصر، فالأمثلة كثيرة جدًا، ويكفي هذا اللبيب.

ومن تدبر القرآن في طوله وعرضه علم أن أهل الصلاح والاستقامة يبتلون، وتكون العاقبة والظفر والنصر لهم.

والفرق بين ابتلاء أهل الهوى والضلال هو أن أهل الهوى يبتلون بسبب ما هم عليه من الضلال، وشتان ما بين الابتلاءين، وما بين الفريقين، وبسط هذا يطول، واللبيب تكفيه الإشارة.

والله أسال أن يجعلنا من أهل الهدى والرشاد، والاستقامة على دينه وشرعه، وأن يجعلنا من عباده المؤمنين، وأوليائه الصالحين، وأن يجعل ما يبلى به أهل السنة تكفيرًا لسيئاتهم ورفعة في درجاتهم في الدنيا والآخرة، وصلى الله على محمد وآله.

**فإن قال:** إن الأحزاب التي ننتقدها موجودة تحت سمع وبصر الدولة، والدولة تعلم بوجودها ، أفلا يدل نقدك لهذه الأحزاب الإسلامية على الافتيات على الدولة أو الخروج عليها؟!

**فقل له:** وجود تلك الأحزاب المختلفة المناهج المتباينة العقائد لا يدل على شرعيتها، ولا يدل على أنها على حق، أرأيت وجود النصارى أو غيرهم من غير المسلمين في بلد إسلامية، أيدل وجودهم على أنهم على حق؟! كلا.

فيوجد تحت سلطان الدولة الإسلامية السني والمبتدع، والمسلم والكافر، والطائع والفاسق، ويجب على أهل العلم التحذير من الباطل بشتى أنواعه، ومن أهل الباطل بشتى أصنافهم، كما يجب عليهم بيان الحق وعدم كتمانه، حتى لا يقعوا فيما وقع فيه أهل الكتاب من قبلنا.

قال-تعالى-: { وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ } وحتى يخرجوا من عهدة الكتمان، قال-تعالى-:

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ }

وكيف يكون قيامهم بما أوجب الله عليهم افتياتًا على أولياء الأمور؟!

وكيف يكون خروجًا على أولياء الأمور بيان فساد اعتقادات ومناهج تلك الأحزاب والفرق المفرقة للأمة، الخارجة-أعني الفرق- على جماعة المسلمين باللسان، أو باللسان والسنان معًا؟!

ولو كان ذلك البيان والنقد لتلك الفرق افتياتًا لَغُلِقَ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وباب النصيحة العظيم، ولا يخفى ما في ذلك الإغلاق من الفساد، وهل نصب أولياء الأمور إلا لإقامة دين الناس ودنياهم؟!

أوليس أهل العلم أولياء أمور؟! بلى والله، قال-تعالى-:

{ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ }

فكما أن الأمراء والسلاطين والحكام أولياء أمور، فكذلك العلماء أولياء أمور، كلٌّ فيما أقامه الله فيه، ومكنه فيه، وإن لم يكن العلماء أولياء أمور في العلم والنصيحة والبيان والحجة فكيف نفهم قوله-تعالى-: { فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ } ؟!.

**فإن قال:** إن بعض من تصفهم بأنهم أدعياء الطريقة السلفية وليسوا بسلفيين، تُرى لهم منامات حسنة، تدل على أنهم على الحق وعلى الجادة.

**فقل له:** هذه شبهة عظيمة قد تكلمت عليها في كتابنا"الهدية" بشيء من التفصيل، فليرجع إليه من شاء، ليعلم أن أهل الأهواء غرقى يتشبثون بالطحلب وبما هو أوهي وأوهن من بيت العنكبوت.

هذا إن كان من رأوا تلك الرؤى معروفي العدالة، فكيف إذا كانوا مجهولي العين أو الحال عندنا؟!

نعوذ بالله من فتنة تلك الطريقة الصوفية المبتدعة، التي تبنى وتؤسس على الرؤى والمنامات أحكامًا.

**فإن قال:** إن الشيخ ربيعًا لم يسلم منه أحد حتى العلماء.

**فقل له:** الشيخ ربيع-حفظه الله- إمام من أئمة المسلمين، وعالم من علمائهم، يوقر العلماء، ويوقر الأئمة، ونسبة الشيخ ربيع-حفظه الله- إلى الطعن في العلماء فرية بلا مرية، يلقى صاحبها جزاءه موفورًا في الدنيا والآخرة -إن شاء الله- إن لم يتب منها توبة نصوحًا بشروطها.

أما أن يكون الشيخ ربيع-حفظه الله وسدد على طريق الحق خطاه- ينتقد الباطل أو الخطأ الصادر من أي عالم، فلا يلزم منه الطعن في ذلك العالم المخطئ، فإن العالم المجتهد مأجور، ولو أخطأ، فكيف إذا أصاب؟!

إن الرد على المخطئ، ولو كان عالما أو إمامًا جليلاً، هو دأب علماء الإسلام قديمًا وحديثًا، فلا يجوز تعصيب ذلك بالشيخ ربيع وحده، فإن ذلك سبيله وسبيل غيره من قبله ومن بعده-إن شاء الله-.

وهذا-في الحقيقة- مما يمدح به علماء الإسلام ويحمدون عليه، إذ إن الحق أحب إليهم من أنفسهم ومن الناس، فمن عابهم بهذه الخصلة فقد عابهم بما يستحقون به المدح في الحقيقة؛ لأنها خصلة حميدة تدل على صدقهم وإخلاصهم، وأن الحق أحب إليهم من آراء الرجال، ولو كانوا علماء عظماء.

وصدق الإمام مالك-رحمه الله- إذ قال: «كلٌّ يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-» أو كما قال.

وينبغي بل يجب التفريق بين رد الشيخ ربيع-حفظه الله- أو غيره على أهل البدع والأهواء، وتشنيعه عليهم والتشريد والتنكيل بهم، وإقصائهم وإبعادهم، وهجرهم والتحذير منهم، وبين رد الأخطاء الصادرة من العلماء، مع توقيرهم وإجلالهم ومعرفة قدرهم، وحفظ مكانتهم العالية، ومنزلتهم الرفيعة السامية، على أن القول بأن الشيخ ربيعًا لم يسلم منه العلماء، لا يعدو كونه مجرد دعوى عارية عن الدليل والبرهان، ومثل تلك الدعاوي الكاذبة أصحابها أدعياء كذبة، وإلا، فقل لي:

أين طعون العلامة ربيع-حفظه الله- أو غيره من علماء الإسلام في علماء الإسلام، في طول تاريخ أهل الإسلام وعرضه، على مر الزمان قديمًا وحديثًا؟! ومعلوم أن علماء الإسلام لا يحصون كثرة عادة، أفلا يستحيي مِنَ الله ومن عباده مَنْ يدعي مثل تلك الدعوى؟!

حقًا، إن الصدق والحياء عزيزان!!

إن الشيخ ربيعًا-حفظه الله- معروف بتوقيره لعلماء الإسلام والذب عنهم، وهو أهل لذلك-حفظه الله-.

وهل خاض الشيخ ربيع-حفظه الله- غمار تلك الحرب الضروس ضد أهل الأهواء إلا حفاظًا على دين الله والمنهج السلفي، وذبًا عن العلماء قديمًا وحديثًا؟!

**والحق يقال:** إن أهل الأهواء لما غاظهم نصرة المذهب السلفي، الذي حمل لواءه ورايته في هذا العصر الشيخ ربيع بن هادي المدخلي-حفظه الله- وانحسرت موجة أهل الأهواء، ودُحروا بحجج الحق وأهله، وعلى رأسهم الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي-حفظه الله- ذهبوا يقذفون بالكذب من مكان بعيد، وإلا، فهل يشك عاقل نَوَّرَ الله بصيرته في اشتهار ذب الشيخ ربيع-حفظه الله- عن المنهج السلفي وعلمائه اشتهار الليل والنهار عند من عرف الشيخ ومذهبه؟!

**فإن قال:** أليس علم الجرح والتعديل خاصًا برواة الحديث؟!

فكيف يدندن بعضهم اليوم بذكر الجرح والتعديل، إذا كان المقام متعلقًا بالرد على أهل الأهواء؟!

**فقل له:** ليس الجرح والتعديل خاصًا برواة الحديث فحسب، وإنما يعم المجروحين والعدول من سائر الطوائف.

نعم إذا ذكر علم الجرح والتعديل، فإن الذهن ينصرف أول ما ينصرف إلى جرح وتعديل رواة الحديث، لكن إذا كان سياق الكلام دالاً على انصباب هذا المصطلح على جرح أهل البدع والأهواء، وتعديل أهل العلم والدين في كل عصر ومصر، ودلت القرائن على ذلك، فلا بأس باستخدام هذا المصطلح ولا إشكال، ولا شك في دلالة السياق على ذلك في كلام المتكلم في أهل الأهواء اليوم، وقيام القرينة على ذلك.

ولقد وصف الشيخ الألباني-رحمه الله- الشيخ ربيعًا-حفظه الله- بأنه حامل راية الجرح والتعديل وبحق في هذا العصر، ثم قال:

والذين يردون عليه لا يردون بعلم أبدًا، والعلم معه، أو كما قال.

فها أنت ترى الشيخ الألباني واصفًا الشيخ ربيعًا بما سبق، وكلاهما عصريان وليسا من العلماء الأوائل، فالشيخ الألباني هو المحدث المشهور، بل هو إمام المحدثين في هذا العصر، وقد قال فيه شيخنا الوادعي-رحمه الله-:

[حسبه أن يكون إمام عصره أما أن يناطح الأوائل فلا]

وآخر عبارة شيخنا-رحمه الله- محمولة على مخالفة الشيخ الألباني للأئمة المتقدمين، مع أن القول قولهم في الحكم على حديث ما بالإرسال أو الانقطاع أو الوقف مثلاً، خلافًا لما ذهب إليه الشيخ الألباني من الحكم عليه بالصحة أو الوصل أو الرفع أو نحو ذلك، مخالفًا بذلك حكم المتقدمين على الحديث، فكان هذا الكلام من الشيخ مقبل-رحمه الله- في نحو هذا السياق.

على أن مخالفة الشيخ الألباني-رحمه الله- للمتقدمين في الحكم على بعض الأحاديث ليست مردودة بإطلاق، كما أنها ليست مقبولة بإطلاق، والقول قول صاحب الحجة في نهاية المطاف، وكم كان الشيخ الألباني-رحمه الله- يردد كثيرًا في كتبه:"كم!! ترك الأول للآخر"

الشاهد هنا هو أن وصف الشيخ ربيع بأنه حامل راية الجرح والتعديل، صادر من إمام جهبذ من أئمة الحديث، فليس استعمال هذا المصطلح، ألا وهو الجرح والتعديل في هذا العصر، منكرًا من القول وزورًا، ما دامت القرينة دافعة للإيهام، ومعلوم أنه لا مشاحَّة في الاصطلاح.

نعم! الأولى تغليب ما جرى عليه العلماء من الألفاظ والمصطلحات، كالرد على فلان، أو نقد مذهب فلان أو نقضه، ونحو ذلك من التعبيرات التي وقعت في كلام أهل العلم السابقين، الذين ردوا على أهل الأهواء، ونقدوا ونقضوا مذاهبهم الباطلة.

على أن استعمال هذه الألفاظ، التي جرى عليها العلماء، موجود على ألسنة أهل العلم اليوم، وكون بعضهم يستعمل مصطلح الجرح والتعديل اليوم، لا ينافي تغليبهم لنحو تلك الألفاظ والتعبيرات المذكورة، لكن لما استُعْمل هذا المصطلح في هذا العصر، ألا وهو الجرح والتعديل، وصار فيه نوع شيوع، صار لافتًا للانتباه، ومثيرًا له، والظاهر أن هذا المصطلح مما يضجر ويقلق ويغيظ أهل الأهواء اليوم، حتى صار بعضهم يتهكم من السلفيين الذين يقولون بمصطلح الجرح والتعديل قائلاً: الجرح والتجريح.

فمتى عُلم أن استعمال مثل هذا المصطلح، ألا وهو مصطلح الجرح والتعديل، في الكلام على أهل الأهواء المعاصرين، منتفية مفاسده، ومتحققة مصالحه باستعماله، يكون الأولى حينئذ استعماله في بعض المواطن، في الكلام على أهل الأهواء، إذ إن إغاظتهم قربة، يتقرب بها إلى الله، ونقول لهم: موتوا بغيظكم، إن الله عليم بذات الصدور.

ومعلوم أن المفضول قد يصير فاضلاً باعتبارٍ ما يجعله فاضلاً، فيكون استعمال هذا المصطلح، ألا وهو مصطلح الجرح والتعديل، في بعض المواطن، يكون فاضلاً باعتبار ما يتحقق به من المصالح، ويدرأ به من المفاسد، وعلى كل حال، فإن الرد على أهل الأهواء واجب شرعي، سواء سمي نقدًا أو طعنًا أو ذمًا أو جرحًا، فسمه ما شئت من ذلك ونحوه، فالخطب في ذلك سهل، إن كان هناك خطب.

ولم لا يكون استعمال مثل هذا المصطلح في الكلام على أهل الأهواء محققًا للمصالح ودارئًا للقبائح، وأهل العلم الذين هم أهله، هم العلماء الحكماء الذين يعرفون باب المصالح والمفاسد، ويَقْدِرونه قدره؟!

**فإن قال:** إن من تطعنون فيهم وتصفونهم بأنهم مبتدعة، لا يقولون عن أنفسهم بأنهم مبتدعة.

**فقل له:** لو كان من شرط وصف المبتدع بأنه مبتدع أن يقر هو بنفسه بأنه مبتدع لما وصف أحد بأنه مبتدع، ومثل هذا الشرط-لو شُرِطَ- يكذبه الواقع، فكان أهل العلم قديمًا-ولا يزالون- يبدعون المبتدع، دون النظر إلى هذا الشرط أو اعتباره.

ثم إنه شرط لا يدل عليه كتاب ولا سنة، إضافة إلى أن عمل أهل السنة هو دون اعتباره، فهو شرط باطل.

**فإن قال:** ألا تصححون، ولا تجرحون، ولا تهدمون الأشخاص؟!

**فقل له:** قد فند أهل العلم-مثل هذه القواعد- ونقدوها، ونقضوها، واجتثوها من أسها وأساسها، واقتلعوها من جذورها، بما يكفي اللبيب بعضه، والذي أريد أن أضيفه هنا هو أن هذه القاعدة تسوي بين العالم المخطئ والمقلد الأعمى، وتسوي بين السني المخطئ والمبتدع المتبع لهواه، والشريعة لا تأتي بمثل هذا، فإن الشريعة لا تجمع بين المفترقات، ولا تماثل بينها، كما أنها لا تفرق بين المجتمِعات.

قال-تعالى-: {قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٩}

وقال: {أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ۝١٤} أي لا يستوون.

وقال-تعالى-: {مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٢٤}

أي لا يستويان، ولم يُذكر الجواب في هذه الآيات ونظائرها للعلم به بداهة، وهذا يدل على أن أصحاب مثل هذه القواعد الباطلة يخالفون المعلوم من الدين بالضرورة، والمعلومَ بداهة عند العالم والجاهل، فإن مثل هذه الآيات التي لم يذكر فيها الجواب للعلم به بداهة، تتلى على مسامع الناس علمائهم وجهالهم، ولا يخفى معناها على أحد، يعرف اللغة العربية، التي نزل بها القرآن، الذي نزل تبيانًا لكل شيء، وقد يذكر الجواب في بعض المواضع كقوله-تعالى-: {أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ۝١٨}

فلا يجوز لأحد أن يجمع بين منْ فرق اللهُ-عز وجل- فلو صحح أهل السنة لكل أحد، دون أن يعرفوا قدر من صُحح له، ودون أن يفرقوا بين خطأ العالم وخطأ الجاهل، وبين باطل السني وباطل المبتدع المتبع لهواه، لكان في ذلك مضادة لمثل هذه الآيات، ومضادة لمذهب السلف الصالح، الذي يقضي بتبديع المبتدع، وتخطئة العالم المجتهد السني، إلى غير ذلك من المفاسد.

ومن معاني هذه القاعدة الفاسدة أنك تتكلم عن الفعل ولا تتكلم عن الفاعل، وهذا باطل أيضًا مخالف للكتاب والسنة ولهدي السلف الصالح، فكل ذلك قائم على الكلام عن الفعل وعن الفاعل، إذا كان هناك مصلحة في الكلام عن الفاعل عمومًا وتعيينه خصوصًا.

ومثل هذه القواعد الفاسدة إنما هي من وحي شياطين الإنس والجن إلى شياطين الإنس وجهال الناس ومبتدعيهم، كما قال-تعالى-:

{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ } أو هي من أمر النفس الأمارة بالسوء، كما قال-تعالى- عن قول امرأة العزيز لا قول يوسف- على ما رجحه أو صححه ابن القيم-رحمه الله-إذ قال: { وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ }

فمعنى قولهم: نصحح ولا نجرح، أي نصحح الأخطاء، ولا نجرح الأشخاص، وهذه القاعدة تحوي بين دفتيها تناقضًا، وجه ذلك أن من لازم الخطأ-خاصة إذا كان كثيرًا- أن يكون صاحبه موصوفًا بأنه مخطئ فيما أخطأ فيه، وهذا اللازم وإن لم يُذْكر صراحة فإنه في حكم المذكور المصرح به للعلم بذلك بداهة، وكم من راوٍ جرحه أهل العلم بكثرة الخطأ في الرواية فيقولون: فلان صدوق يخطئ، أو صدوق يخطئ كثيرًا، أو صدوق يهم، أو فلان يهم كثيرًا، ولا شك في أن هذا نوع جرح، وإلا للزم من ذلك التسوية بين من قيل فيه صدوق بإطلاق، ومن قيل فيه تلك العبارات السابقة، وهذا محال باطل، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم.

**وكذلك فإننا نقول:** من ابتدع بدعة، ودعا إليها، وعاند بعد إقامة الحجة عليه، فإن مثله يكون مبتدعًا ضرورة، سواءٌ صرحنا بأنه مبتدع أم لم نصرح، إذ إن من لازم من كان هذا حاله من الابتداع أن يكون مبتدعًا مذمومًا، فإن لم يكن هذا اللازم منطوقًا ولا ملفوظًا باللسان ولا مقولاً به، فإنه قول للقلب لا محالة، وهذا يدلك على أن شأن الباطل هو الاختلاف والتناقض، وصدق ربنا-عز وجل- إذ قال:

{ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ }

وبناءً على هذه القاعدة الفاسدة لو أنك وجدت من يطعن في مذهب السلف الصالح، ويطعن في حملته، ويسميهم، وَيُعَيِّنُهُمْ إمامًا، بعد إمام وعالمًا بعد عالم، فلا يجوز لك أن تجرح هذا الطاعن، ولا أن تطعن فيه!!، فهل رأيت مثل هذا الدفاع وتلك المنافحة عن الباطل وأهله؟!

أتدري ما الضحية ومن الضحايا بعد ذلك؟! إنه المذهب السلفي وأتباعه وحملته.

ولا ينقضي عجبك إذا علمت أن أصحاب هذه القواعد هم من أدعياء السلفية، والسلفية والمذهب السلفي منهم-والله الذي لا إله غيره- براء براءة أعظم من براءة الذئب من دم ابن يعقوب، فخاب وخسر من قعد مثل تلك القواعد، التي ذكرنا لك بعض مفاسدها ولوازمها الباطلة، التي تدل على فسادها وبطلانها، والله المستعان.

**فإن قال:** ما تقول في علي الحلبي؟ فقد وصفه الشيخُ ربيع بأنه طالب علم.

**فقل لـه:** الشيخ ربيع-حفظه الله- إنما ساق هذا في سياق الرد على من يغلون في علي الحلبي، ويرفعونه فوق قدره، ويُطْرُونه، فذكر لهم الشيخ-حفظه الله- أنه طالب علم، وليس بعالم، فلا يجوز قطع الكلام عن سياقه بسباقه ولحاقه، أي فليس بالعالم المجتهد، الذي يعتبر وفاقه وخلافه، على أني أقول:

إن هذا الكلام من الشيخ ربيع بشأن الحلبي، ووصفه بأنه طالب علم، مع تغير حاله، وسوء حاله، فيه من التجوز والمسامحة ما فيه، فالحقيقة أنه لا يصح وصفه بأنه طالب علم، ذلك لأن طالب العلم هو من يطلب العلم على أهل العلم، ويسير بسيرهم، ويمشي على منوالهم، ولا يضادهم، ولا يخالفهم، ولا ينازعهم، ولا يخاصمهم، ولا يطعن فيهم، ولا يدافع عن أهل الأهواء بالأصول الفاسدة، والقواعد الباطلة الكاسدة.

أما من لم يكن هذا حاله، بل كان على الضد من ذلك، كحال ذاك الحلبي فإنه لا يصح أن يقال فيه: طالب علم، وإنما هو طالب ضلال، فهو من أولى من ينطبق عليه ما جاء في الأثر عن بعض السلف: إن الضلالة حق الضلالة أن تنكر ما كنت تعرف، وتعرف ما كنت تنكر، وهذا هو حال الحلبي اليوم، بعد أن سقط على أم رأسه، وانتكس انتكاسة عظمى على بصيرة، فالرجل اليوم صار يدافع عن أهل الأهواء، وينازع العلماء، وهو ليس بأهل لهذه المنازعة لأهل العلم، ولا مخاصمتهم ولا مخالفتهم، وكيف يكون سلفيًا من يدافع عمن تكلم فيهم أهل العلم، ووسموهم بالابتداع، من أمثال أبي الحسن المأربي، وأبي إسحاق الحويني، ومحمد حسان، وأضرابهم من أهل الباطل والابتداع والضلال؟!

إن أهل السنة ليسوا على استعداد لنسف جهود أهل العلم، المجاهدين لأهل الأهواء، بمجرد نبس علي الحلبي ببنت شفته، أو بمجرد جرة قلمه، للإتيان على جهود هؤلاء العلماء، وجعلها في مهب الرياح، حتى تذهب أدراج الرياح.

إن أهل العلم في شق، والحلبي في شق، وقد كفانا أمرَ الحلبي الشيخُ أحمد ابن عمر بازمول-حفظه الله- في كتابه:

(صيانة السلفي من وسوسة وتلبيسات علي الحلبي) فجزاه الله عن المذهب السلفي وأهله خيرًا، ثم إن الشيخ ربيعًا -حفظه الله- قد قال بعدُ كلمته في علي الحلبي، ورماه بأنه من أحط أهل البدع، والعالم -على كل حال- إنما يحكم بناءً على ما يظهر له، والله أسأل أن يعصمنا وإخواننا من الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

**قال أبوبكر:** هذا ما كنت كتبته من عدة سنوات، فقمت بمراجعته، فنالته يد التعديل من حذف وإضافة، وغير ذلك مما يقتضيه التعديل، وقد تم الفراغ من ذلك، وهو بحث قابل للزيادة إلى أضعافٍ مضاعفة، والحمد لله رب العالمين.

وقد تم الفراغ من ذلك، في يوم السبت، الموافق العشرين

من رمضان لسنة سبع وثلاثين وأربعمائة وألف

من الهجرة النبوية على صاحبها

الصلاة والسلام

أملاه أبو بكر بن ماهر بن عطية بن جمعة المصري

أبو عبد الله